



جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
Sheikh Abdullah Al Nouri Charity Society



مِزَّةُ الْأَلِّ وَالْأَصْحَابِ
سلسلة تراث الأهل والأصحاب (٣)

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

فِي حَيَاةِ الْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ

عَمَّرُوا الشَّرْقَ قَاوِي

مراجعة مركز البحوث والدراسات بالمبرة

القرآن الكريم
في حياة آلِ والأصحاب

مكتبة الكويت الوطنية
National Library of Kuwait



عنوان الكتاب : القرآن الكريم في حياة الآل والأصحاب .

اسم المؤلف : عمرو الشرقاوي .

نوع المطبوع : كتاب - الطبعة : الأولى - عدد الصفحات : ١٢١

السلسلة : تراث الآل والأصحاب (٣)

الناشر : مبرة الآل والأصحاب

ص.ب. ١٢٤٢١ الشامية - الرمز البريدي ٧١٦٥٥ - ت : ٢٥٦٠٢٠٣

ردمك: ٣ - ٣٧ - ٦٤ - ٩٩٩٦٦ - ٩٧٨ - ISBN

حقوق الطبع محفوظة لمبرة الآل والأصحاب

إلا لمن أراد التوزيع الخيري بشرط عدم التصرف في المادة العلمية

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م

مبرة الآل والأصحاب 

هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣ - ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦

ص.ب. ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت

E - mail: almabarrh@gmail.com

www.almabarrah.net

القرآن الكريم

في حياة الآل والأصحاب

عمرو الشَّرْقَاوي

مراجعة مركز البحوث والدراسات بالمبرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة مبرة الآل والأصحاب.....	٧
مقدمة المؤلف	١١
الفصل الأول: مفهوم الآل والأصحاب وفضائلهم في القرآن والسنة	١٧
المبحث الأول: التعريف بالآل وفضائلهم في القرآن والسنة.....	٢٠
المبحث الثاني: التعريف بالصحب وفضائلهم في القرآن والسنة.....	٣١
الفصل الثاني: دور الصحابة في جمع القرآن العظيم	٤٣
القرآن في العهد النبوي	٤٣
القرآن في عهد الصحابة.....	٤٥
الفصل الثالث: اهتمام الصحابة والآل بتفسير القرآن	٥٣
المبحث الأول: اهتمامهم بعلم التفسير	٥٣
المبحث الثاني: مختصر في تاريخ التفسير في عهد الصحابة	٦٣
الفصل الرابع: اهتمام الصحابة والآل بحفظ القرآن، وإقراءه	٨١
المبحث الأول: اهتمام الصحابة بحفظ القرآن	٨١
المبحث الثاني: اهتمام الصحابة بإقراء القرآن الكريم.....	٨٤
الفصل الخامس: تعظيم الآل والأصحاب للقرآن	٩١
أولاً: ثناؤهم على القرآن وحث الناس على الإقبال عليه، والتحذير من هجره.....	٩٣

٩٧.....	ثانياً: تكريمهم لأهل القرآن ، ومعرفة قدرهم
٩٩.....	ثالثاً: حسن تلاوتهم واستماعهم للقرآن
١٠٣.....	رابعاً: عملهم بالقرآن.....
١٠٩.....	الفصل السادس: القرآن والصلاة في حياة الآل والأصحاب
١١٥.....	مراجع البحث.....



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة مبرة الآل والأصحاب

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ
وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد ؛

فهذا القرآن الكريم كلام ربنا العظيم ، ما تبلغ القلوب أن تنقاد
لهديه ؟ ، وما يسع الألباب أن تحيط بعلمه ؟ وما عساها الأقلام أن تكتب
في فضله ؟ ، فهو الكتاب الذي قال فيه أعداؤه لما سمعوه من النبي ﷺ :
«إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ ، وَإِنَّهُ لُمُثَمِّرٌ أَعْلَاهُ ،
مُعْدِقٌ أَسْفَلَهُ ، وَإِنَّهُ لِيَعْلُو وَمَا يُعْلَى ، وَإِنَّهُ لِيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ»^(١) ، وما أبلغ
ما وردَ في وَصْفِهِ في بعض الأحاديث : «كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم
وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه
من جبارٍ قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله
المتين ، وهو الذِّكْرُ الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تَرِيغُ
به الأهواء ، ولا تَلْتَبِسُ به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلُقُ على

(١) المستدرک للحاکم ، (٣٨٧٢) ، وقال: على شرط البخاري . ورواه ابن جرير في
التفسير ، (١٥٦/٢٩) ، مرسلًا .

كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمَلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١).

أما صحابة النبي ﷺ؛ فهم الذين شهدوا التنزيل، وعانوا وقائع الوحي، نزل عليهم يعلمهم ويحييهم ويربيهم، ففقهوه ووعوه، وعظموه وقدموه، فكان نبراس حياتهم، وأسوة معاشهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أولئك أصحابُ محمد ﷺ، كانوا أفضلَ هذه الأمة: أبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»^(٢).

وهؤلاء أهل بيته الطيبون الطاهرون، معدن الرسالة وبيت النبوة، فيهم العلماء والعُباد والمجاهدون، وطبقتهم الأولى من الصحابة، فيهم علي بن أبي طالب ابن عم النبي وصهره وخليفته الراشد، وفيهم فاطمة البضعة النبوية والجهة المصطفوية، وفيهم الحسن والحسين ريحانتا النبي ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة، وفيهم العباس عم النبي ﷺ صينو أبيه، وابن عباس ترجمان القرآن وحبر الأمة، وأزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، رضي الله عنهم أجمعين، ثم مَنْ تلاهم من أئمة العلم والهدى

(١) سنن الترمذي، (٢٩٠٦)، ت: شاکر، وقال الألباني: ضعيف.

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، (٩٧/٢).

والورع في الطبقات اللاحقة من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، رحمهم الله أجمعين . قد أوصى النبي ﷺ بهم خيراً ، فكان توفير أهل العلم لهم ، والاعتناء بعلمهم وهديهم ؛ مما توافرت شواهدة .

والكتاب الذي بين أيدينا يجمع هذه الباقية العطرة من الصحابة وأهل البيت ، ويرصد بعض جوانبِ علاقتهم بالقرآن ، وكيف تعاملوا مع القرآن ، وكيف أثر القرآن في حياتهم ؛ فأنتج هذه القدوات الصالحة التي تعتبر النموذج المثالي لتطبيق مبادئ الإسلام وتفعيلها في الحياة . ورغم أن محورية القرآن في حياة الآل والأصحاب تبدو مسلّمة بديهية ؛ إلا أننا في أمس الحاجة لتلمّس بعض جوانب ذلك التأثير ، بما يعود علينا بفائدة التأسّي والاعتبار .

ويسرنا في هذا المقام تقديم جزيل شكرنا وعظيم امتناننا إلى جمعية الشيخ عبد الله النوري الخيرية على تبني رعاية إصدار هذا الكتاب ضمن مجموعة من أربعة كتب هي هذا الكتاب والكتب الثلاثة التالية :

* آداب التربية في تراث الآل والأصحاب

* إدارة الوقت في تراث الآل والأصحاب

* آداب التعامل مع المرأة في تراث الآل والأصحاب

وينطلق هذا الدعم وهذه المساهمة من الشعور الجماعي المشترك

بالواجب تجاه تراث الآل والأصحاب ، الذين نتعبد الله بحبهم ، وتقديم
تراثهم الزاخر إلى العالم أجمع في خير الأمثلة والأسوات الحسنة من
خريجي المدرسة النبوية المباركة .

مبرة الآل والأصحاب

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
وآله وصحبه أجمعين ، وبعد:

فإن علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدراً، وأجلها خطراً،
وأعظمها أجراً، وأشرفها ذكراً^(١)، وإن أحق ما صرفت إلى علمه
العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به
إلى سبيل الرشاد هدى، وإن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب
فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه،
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد^(٢).

وإن أول من أدرك أهمية القرآن في حياة المؤمن آل رسول الله ﷺ
وأصحابه، وهم أهل الكتاب حقاً، كانت به كفايتهم، إن الله ﷻ اختار
لكتابه أمةً وعته، وأحبته وصدقته، فنزل القرآن إلى جذور قلوبها، ففتحت
قلوبها للقرآن واطمأنت لموعظة الرحمن، حتى إذا تغلغلت تلك الآيات
في الجنان، قادت أهلها إلى المحبة والرضوان.

(١) مقدمة تفسير الإمام ابن جزي، (١٠/١).

(٢) جامع البيان، للطبري: (٧/١).

آل النبي ﷺ وأصحابه ، الذين اصطفاهم الله واجتباهم لرؤية منازل القرآن وحوادثه ومعاركه ، فكان القرآن ينزل على النبي ﷺ والكل يراه ، والكل يعلمه ويشاهده ، فحققوا القرآن بالعمل ، وما توفي رسول الله ﷺ إلا وكل واحدٍ منهم قرآنٌ يمشي على وجه الأرض ، فكانت هذه الأمة مع كتاب الله ، التي سهرت ليلها وأظمأت نهارها ، رهبان الليل وفرسان النهار ، بقال الله وقال رسول الله ﷺ .

وإذا أحب الله العبد رزقه أن يسير على نهجهم ، فما مات أصحاب رسول الله ﷺ إلا وخلفوا أشباههم من التابعين ، ومن الأئمة المهديين المحبين لكلام رب العالمين ، توفي أصحاب النبي ﷺ وآله بعد أن تحكم القرآن في قلوبهم ، وترجم في قلوبهم ، فغرسوا هذا القرآن في أتباعهم ، والسائرين على نهجهم بإحسان .

غرس الصحابة والآل رضوان الله عليهم كلام الله في قلوب التابعين ، رجالاً ونساءً ، صغاراً وكباراً ، حتى أحبت القلوب القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ ، لأن الله ﷻ جمع للصحابة في القرآن خصلتين ، قل أن تجتمع لإنسان في الدنيا: خصلة العلم بالقرآن ، والعمل به وتطبيقه أمام العيان .

كان أصحاب النبي ﷺ وآله مع القرآن بقلوبهم ، سهروا معه ، فكان الواحد منهم تبكيه الآية ، وتفرحه الآية ، يعيش الوعد والوعيد والشوق والتهديد ، فكانوا مع القرآن على الحقيقة ، عاشوا مع هذا القرآن ، إذا

تليت عليهم آيات الجنان طارت قلوبهم شوقاً إلى الروح والريحان، إذا تلا الواحد منهم آيات الجنان كأنه يقطف من ثمارها، ويتكى على أرائكها، وينظر إلى أشجارها وثمارها وأنهارها، فما أعظمها من أمة، وإذا تلا الواحد منهم الآية التي فيها ذكر النيران، وغضب الواحد الديان، صعق كأن زفير النيران بين أذنيه.

أمة أحببت كتاب الله صدق المحبة، فلما رأت رسول الله ﷺ يذكرهم به، ويعظمهم به، علموا أنه القول الفصل، وأنه الجد لا الهزل الذي يحتاج لمن يحمل همومه وغمومه، ويبادله مشاعره وأشجانه وأحزانه، فإذا أردت أن تنظر إلى جيل القرآن في أبهى صورته، وأجمل حُلله، فانظر إلى تلك الأمة المصطفاة، واقرأ عن سيرة أصحاب المصطفى ﷺ وآله.

إذا قرأت في سيرتهم لا تدري أتعجب من علمهم بالقرآن! ومعرفتهم لكلام الرحمن!

إذا قرأت سيرتهم لا تدري أتعجب من عملهم بكلام الله، أم بمعرفتهم بأحكام الله وشرائع الله، أم بوقوفهم عند حدود الله وزواجر الله، تعطرك السيرة، وتنفحك السريرة، فتجد الصدق الذي لا كذب فيه، والحب الذي لا شائبة فيه.

ولذا جاء هذا البحث ليبين شيئاً من ارتباط الأصحاب والآل بالقرآن، تحقيقاً بأخلاقه، ودخولاً في ابتلاءاته، تحت عنوان: «القرآن في حياة الآل والأصحاب».

وسياتي هذا البحث بحول الله في مقدمة ، يتلوها الفصل الأول : مفهوم الآل والأصحاب وفضائلهم في القرآن والسنة ، وفيه بحث مختصرٌ جداً عن تعريف الآل والأصحاب ، وعن جملة يسيرة من فضائلهم الماثورة في القرآن والسنة .

وفي الفصل الثاني : دور الصحابة والآل في جمع القرآن العظيم ، نعرف بالدور الكبير للصحابة والآل في جمع القرآن الكريم ، في عهد رسول الله ﷺ ، وعهد أبي بكر ، وعثمان رضي الله عنهم .

أما الفصل الثالث : اهتمام الصحابة والآل بتفسير القرآن ، فقد بحثُ فيه اهتمام الصحابة والآل بتفسير القرآن ، مع ذكر مختصر لتاريخ التفسير في عهد الصحابة ، يتضح به منهجهم ، وطريقتهم ، وجهدهم في هذا الباب العظيم المتعلق بكتاب الله .

وفي الفصل الرابع : اهتمام الصحابة والآل بحفظ القرآن ، وإقراءه ، ذكرت نماذج من حفظ الآل والأصحاب للقرآن ، وتصديهم لإقراءه .

وجاء الفصل الخامس : تعظيم الآل والأصحاب للقرآن ، وفيه ذكر لأحوالهم مع كتاب الله تعالى ، وتعظيمه ، ومحبتهم له ، وثنائهم عليه .

وختم البحث بالفصل السادس : القرآن والصلاة في حياة الآل والأصحاب ، وفيه حديث عن اهتمام الصحابة بتلاوة الكتاب في الصلاة ، وعن شيء من هديهم في ذلك .

ومن نافلة القول أن أنبه على انتقائية هذا البحث، فلم يكن المقصود منه الاستقصاء في جمع المادة المتعلقة بموضوع البحث، وفي الحقيقة؛ فإن هذه المادة حري أن تجمع وأن تبحث في بحوث مفردة، وقد حصل بعض ذلك بحمد الله تعالى .

كما أنبه على أنني لم أدخل في هذا البحث كلام أهل العلم حول القرآن، بل محضته لكلام الثلة المباركة من الآل والصحب = إلا ما دعت الضرورة إليه، وفي كلامهم نور وغنية عن غيره - إن شاء الله تعالى - .
ونسأل الله أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، وأن يهدينا سواء السبيل .

وكتبه

عمرو صبحي علي الشرقاوي

الفصل الأول

مفهوم الآل والأصحاب وفضائلهم في القرآن والسنة

لقد نوع القرآن المجيد في ذكر فضائل أصحاب النبي ﷺ، وآل بيته الكرام، وكيف لا يكون الأمر كذلك، وآل بيت النبي ﷺ هم «الذين أمر بمحبتهم، واختصهم للمباهلة بهم، وتلا آية التطهير بسببهم، وبشر محبيهم أن يكونوا معه، في درجته يوم القيامة، وأنذز محاربيهم بالحرب، وبشر مسالمهم بالسلامة، وشرع الصلاة عليهم معه في كل صلاة، وقرنهم في حديث الثقلين بكتاب الله، ووصى فيهم، وأكد الوصاة، بقوله: «الله، الله». خرَّجه مسلم فيما رواه، وزاد الترمذي وسواه: بشراه لذوي قرباه، إنهما لن يفترقا حتى يلقياه.

ولمَّا أهبَّ اللهُ سبحانه لهم أرواحَ الذكرِ المحمود في جميعِ الوجود، بذكرهم في الصلواتِ الإلهية، ومع الصلواتِ النبوية، فلازم ذكرهم الصلوات الخمس، والصلاة على خير مَنْ طلعت عليه الشمس، كان ذلك إعلاناً ممن له الخلق والأمر، وإعلاماً ممن لا يُقدَّرُ لجلاله قدرٌ، أنه أراد أن يهبَّ ذكرهم مهبَّ الجنوب والقبول، وأن لا يُنسى فيهم عظيمُ حق الرسول، لا سيَّما وقد سبق في علمه سبحانه: أن الأشراف لا يزالون مُحسِّدين، وأن الاختلاف والمعاداة فتنةُ هذه الأمة إلى يوم الدين.

وكذلك، فإنه لما علم ما سيكون من استحلال حُرْمَتِهِمُ العظيمة، وسفك دمائهم الكريمة، أذِنَ بَأَنَّهُ حرب لمن حاربهم، وسلّم لمن سالمهم، وقرنهم بالكتاب المجيد، ووَصَّى فيهم من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد»^(١).

أما أصحاب النبي ﷺ، فهم الذين «ذَكَرُوا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَوُصِفُوا بِالسَّبْقِ وَالْهَجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْإِيمَانِ، أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِينَ صَدَعَتْ مِمَادِحُ الْوَحْيِ قِرَاءًا وَسُنَّةً، بِأَنَّهُمْ خَيْرُ النَّاسِ وَخَيْرُ الْقُرُونِ، وَخَيْرُ أُمَّةٍ. وَلَوْ لَمْ يَرِدْ مِنْ فَضَائِلِهِمُ الشَّرِيفَةُ، إِلَّا حَدِيثُ «مَا بَلَغَ مُدُّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٢)، وَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَن سَوْفَ تُجْهَلُ حَقُوقُهُمْ، وَيُسْتَحَلُّ عَقُوقُهُمْ - حَذَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْذَرَ، وَبَالَغَ ﷺ فِي ذَلِكَ وَأَكْثَرَ. وَلَوْ لَمْ يَرِدْ فِي ذَلِكَ إِلَّا قَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي مِنْ أَحَبِّهِمْ فَبِحَبِي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ، فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ، فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»^(٣)، وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَسُبُّونَ أَصْحَابِي، فَقُولُوا: لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى شَرِّكُمْ»^(٤).

(١) العواصم والقواصم، لابن الوزير: (١٧٧/١ - ١٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٥٤٠)، والترمذي (٣٨٦٠)، وأبو داود (٤٦٥٨).

(٣) أخرجه أحمد: (٨٧/٤) و(٥٤/٥ و٥٧)، والترمذي (٣٨٦١) في المناقب؛ والبخاري (٣٨٦٠).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٦٦) في المناقب، وقال الترمذي: هذا حديث منكر لا نعرفه =

فيا له من قصاص ما أنصفه، وجزاء ما عدله، فخذها أيها السني ممن أوتي الكلم الجوامع، والحجج القواطع.

فَرَضِيَ اللهُ عَنْ السَّابِقِينَ مِنْهُمْ وَاللَّاحِقِينَ، وَالمَتَّبِعِينَ مِنْهُمْ وَالتَّابِعِينَ، مِنْ أَهْلِ الحَرَمِينَ، وَالهَجْرَتَيْنِ، وَالمَسْجِدَيْنِ، وَالقِبْلَتَيْنِ، وَالكِتَابِينَ، وَالبَيْعَتَيْنِ، وَالأَرْبَعَةَ وَالعَشْرَةَ، وَأَهْلَ بَدْرِ البَرَّةِ، وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ، وَأَهْلَ العَشْرِينَ الغَزْوَةَ وَالثَّمَانَ وَعَنْ البَعُوْثِ وَالجَنُودِ، وَأَهْلَ حِجَّةِ الوُدَّاعِ وَالوَفُودِ.

وعن الذين جاؤوا من بعدهم يقولون: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ^(١).

واعلم، «أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ حُبُّ الأَصْحَابِ وَالأَلِّ، إِلا فِي قُلُوبِ عَقْلَاءِ الرِّجَالِ»^(٢).



= من حديث عبيد الله بن عمر إلا من هذا الوجه.

(١) العواصم والقواصم، لابن الوزير: (١/١٧٩ - ١٨٢).

(٢) العواصم والقواصم، لابن الوزير: (١/١٨٣).

المبحث الأول

التعريف بالآل وفضائلهم في القرآن والسنة

❖ أولاً: التعريف بمصطلح الآل في اللغة والشرع:

لقد اختلف علماء اللغة في أصل كلمة آل:

١ - فذكر بعضهم أنه مقلوب من الأهل^(١).

٢ - والراجح أن «آل» مشتقة من الأول، قال ابن فارس: «وآل يؤول، أي: رجع»^(٢).

قال ابن تيمية: «لفظ «الآل» أصله أول، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا ف قيل: آل ومثله باب وناب. وفي الأفعال قال وعاد ونحو ذلك.

ومن قال أصله أهل فقلبت الهاء ألفا فقد غلط؛ فإنه قال ما لا دليل عليه وادعى القلب الشاذ بغير حجة مع مخالفته للأصل.

وأيضاً فإن لفظ الأهل يضيفونه إلى الجماد وإلى غير المعظم كما

(١) المفردات: (٩٨).

(٢) مقاييس اللغة: (١٥٩).

يقولون: أهل البيت ، وأهل المدينة ، وأهل الفقير ، وأهل المسكين ، وأما الآل فإنما يضاف إلى معظم من شأنه أن يؤول غيره ، أو يسوسه ، فيكون مآله إليه .

ومنه الإيالة: وهي السياسة .

فأل الشخص هم من يؤوله ويؤول إليه ويرجع إليه ونفسه هي أول وأولى من يسوسه ويؤول إليه ؛ فلهذا كان لفظ آل فلان متناولاً له ، ولا يقال هو مختص به ، بل يتناوله ويتناول من يؤوله^(١) .

هذا هو التعريف اللغوي للفظ «آل» ، أما لفظ «أهل» ، فذكر أهل اللغة أن: «أهل الرجل: زوجته ، وأخص الناس به . والتأهل: التزوج . وأهل البيت: سكانه»^(٢) .

– والصحيح أن الآل والأهل يطلقان على معان مشتركة ، ومن ذلك: أنهما يطلقان على الزوجة والعيال^(٣) ، فهما يطلقان على آل البيت ، وأخص آل البيت نساء الرجل .

– أما أهل البيت في لسان الشرع^(٤) ، فنحن إذا تأملنا قوله تعالى:

(١) مجموع الفتاوى: (٤٦٣/٢٢) .

(٢) العين: (٨٩/٤) ، تهذيب اللغة: (٢٢٠/٦) .

(٣) انظر: تفسير القرطبي: (٨٠/١٦) .

(٤) انظر: أهل البيت بين مدرستين: محمد سالم الخضر ، مبرة الآل والأصحاب:

(١٥) ، جهود الصحابة في جمع القرآن لأحمد سالم: (١٢٣) ، أهل البيت عند شيخ

الإسلام ابن تيمية ، للقرموشي: (٤٨) .

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وجدنا هذه الآية ظاهرة الدلالة على أن زوجاته - ﷺ - من أهل بيته^(١)، وروى الإمام مسلم في صحيحه^(٢) عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله - ﷺ - يوماً خطيباً، وذكر الحديث وفيه: «أذكركم الله في أهل بيتي» - ثلاثاً - فقال حصين بن سبرة: «ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟»، قال: «إن نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده»، قال: «ومن هم؟»، قال: «هم آل علي، وآل عقیل، وآل جعفر، وآل العباس»، قال: «أكل هؤلاء حرم الصدقة؟»، قال: «نعم».

وفي حديث كعب بن عجرة^(٣) قال: سألنا رسول الله - ﷺ - فقلنا: «يا رسول الله! كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟»، قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد».

وعن أبي حميد الساعدي^(٤) أنهم قالوا: «يا رسول الله! كيف

(١) انظر: تفسير ابن كثير: (٥٠٦/٣)، وتفسير القرطبي: (١٨٢/١٤ - ١٨٤)، والبحر المحيط؛ لابن حيان: (٢٣٢/٧)، والكشاف؛ للزمخشري: (٢٦٠/٣)، وتفسير أبي السعود: (٤١٧/٤)، ومفاتيح الغيب: (٢٠٩/٢٥).

(٢) رقم: (٢٤٠٨)، وأخرجه الإمام أحمد: (٣٦٦/٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد: (٢٤١/٤)، وغيره، والبخاري: رقم: (٦٣٥٧)، ومسلم: رقم: (٤٠٦)، وأبو داود: رقم: (٩٧٦).

(٤) أخرجه الإمام مالك: رقم: (٦٦)، ومن طريقه الإمام أحمد: (٤٢٤/٥)، والبخاري: =

نصلي عليك؟»، فقال رسول الله - ﷺ - قولوا: «اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته».

فهذا تفسير ذلك الحديث الذي قبله، ويبين أن آل محمد هم أزواجه وذريته^(١).

وروى البخاري^(٢) بإسناده إلى أنس بن مالك في قصة زواجه - ﷺ - بزینب بنت جحش، وفيه: أنه خرج فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله»، فقالت: «وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلک بارک الله لك؟»، فتقرى حجر نساءه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة.

وفي صحيح مسلم^(٣) أن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «خرج النبي - ﷺ - - غداة، وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾».

قال القرطبي: «فهذه دعوة من النبي - ﷺ - لهم بعد نزول الآية،

= رقم: (٦٣٦٠)، ومسلم: رقم: (٤٠٧).

(١) انظر: جلاء الأفهام، (٢١١).

(٢) رقم: (٤٧٩٣)، وأخرجه الإمام أحمد: (١٩٥/٣)، ومسلم: رقم: (١٤٢٨).

(٣) رقم (٢٤٢٤)، وأخرجه الإمام أحمد: (١٦٢/٦).

أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج»^(١).

فعلى هذا تشمل الآية الزوجات وأصحاب الكساء «فمن جعل الآية خاصة بأحد الفريقين فقد أعمل بعض ما يجب إعماله، وأهمل ما لا يجوز إهماله»^(٢).

- فتأمل هذه النصوص والجمع بين دلالاتها يتخرج أن مفهوم أهل البيت في لسان الشرع يصدق على ثلاث فئات:

الأولى: زوجاته - رضوان الله عليهن - .

الثانية: أقاربه ممن تحرم عليهم الصدقة^(٣).

الثالثة: ذريته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

قال الحافظ ابن حجر: «فبذلك يجمع بين الأحاديث»^(٤).



(١) انظر: تفسير القرطبي: (١٨٤/٤).

(٢) انظر: فتح القدير: (١٨٠/٤).

(٣) والذين حرمت عليهم الصدقة، هم: بنو هاشم، وأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يدخل بنو المطلب فيهم، انظر: أهل البيت عند شيخ الإسلام: (٥٣).

(٤) انظر: فتح الباري: (١٦٠/١١).

❖ ثانياً: فضائل آل البيت في القرآن والسنة^(١):

* أولاً: فضائلهم في القرآن:

إن كل الآيات في تزكية الصحابة على سبيل الإجمال يصلح أن نستشهد بها، إذ قرابة النبي ﷺ في الطبقة الأولى صحبة وزيادة، ولكننا نذكر هنا بعض الآيات التي نزلت في تزكية القرابة - خاصة - على سبيل الإجمال، فمنها الآية الجامعة في فضل آل البيت وقد وردت في سياق واحد في سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَفْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأذْكَرْنَ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٣٤]^(٢).

(١) انظر في تفصيل الفضائل ودلالات الآيات كتابنا: «الصحابة والقرابة في القرآن الكريم».

دراسة تحليلية موضوعية»، من منشورات مبرة الآل والأصحاب.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: (٣١٥/٢١).

«وهذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بإنما المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنه وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة»^(١).

- والصحيح أن الخلاف الذي يحكى في المراد بهذه الآية ينبغي أن تحمل الآية معه على عمومها، وأن يكون المراد بأهل البيت في هذه الآية ما ذكره ابن عطية بقوله: «والذي يظهر إلي أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة، فأهل البيت زوجاته وبنته وبنوها وزوجها، وهذه الآية تقضي أن الزوجات من أهل البيت لأن الآية فيهن والمخاطبة لهن»^(٢).

وقال ابن حجر الهيتمي: «والحاصل أن أهل بيت السكنى داخلون في الآية لأنهم المخاطبون بها، ولما كان أهل بيت النسب تخفى إرادتهم منها بين ﷺ بما فعله مع من مر أن المراد من أهل البيت هنا ما يعم أهل بيت سكناه كأزواجه وأهل بيت نسبه وهم جميع بني هاشم والمطلب»^(٣).

(١) الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي: (٤٢٦/٢).

(٢) المحرر الوجيز: (٣٨٤/٤)، قال القرطبي: «والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم. وإنما قال: «ويطهركم» لأن رسول الله ﷺ وعلياً وحسناً وحسيناً كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام. والله أعلم»، (١٨٣/١٤).

(٣) الصواعق المحرقة: (٤٢٥/٢).

٢ - ومن الآيات الدالة على فضل أزواج النبي ﷺ ، قوله تعالى :
﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ^(١) .

٣ - ومن الدلائل على فضل آل البيت الصلاة عليهم ، قوله تعالى :
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : لقيني كعب بن عجرة ، فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ إن النبي ﷺ خرج علينا ، فقلنا : يا رسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : «فقولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد» ^(٢) .

✽ ثانيًا : فضائلهم في السنة :

١ - روى مسلم في صحيحه ؛ عن يزيد بن حيان ، قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة ، وعمر بن مسلم ، إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : «لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا ! رأيت رسول الله ﷺ ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا ! حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ» ، قال : «يا ابن أخي ! والله لقد كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت

(١) التفسير البسيط : (١٧٦/١٨) .

(٢) رواه البخاري : (٦٣٥٧) ، ومسلم : (٤٠٦) .

أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا، فلا تكلفوني»، ثم قال: «قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى خمماً بين مكة والمدينة؛ فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر»، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فقال له حصين: «ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟»، قال: «نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده»، قال: «ومن هم؟»، قال: «هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس»، قال: «كل هؤلاء حرم الصدقة؟»، قال: «نعم».. وفي لفظ: «فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟»، قال: «لا، وإيم الله! إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده»^(١).

٢ - وعن عكرمة قال: تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وهي جارية تلعب مع الجوارى، فجاء إلى أصحابه فدعوا له بالبركة، فقال: «إني لم أتزوج من نشاط بي، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي

(١) مسلم: (٢٤٠٨/٣٧)، و«تفسير ابن كثير»: (٤٧٧٤/٩).

ونسبي»، فأحببت أن يكون بيني، وبين نبي الله ﷺ سبب ونسب^(١).

قال عبد الرزاق^(٢): «وأم كلثوم من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ودخل عليها عمر، وأولد منها غلاماً، يقال له: زيد».

٣ - قال أبو بكر رضي الله عنه: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته»^(٣)، وقال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لقراة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي»^(٤)، وعن عقبه بن الحارث رضي الله عنه قال: «صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر، ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحملة على عاتقه، وقال: «بأبي شبيهه بالنبي لا شبيهه بعلي»، وعلي يضحك»^(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكذلك آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها؛ فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس

(١) مصنف عبد الرزاق (١٦٢/٦)، وهذا الإسناد مرسل، وزواج عمر من أم كلثوم ثابت في «صحيح البخاري»: (٢٨٨١)، وغيره، وحديث: «إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»، يروى عن غير واحد من الصحابة، منهم عمر رضي الله عنه، أخرجه الحاكم: (١٤٢/٣)، وعنه البيهقي: (٦٣/٧)، والضياء في «المختارة»: (١٩٧/١)، وغيره)، وغيرهم، وصححه الألباني في «الصحيحة»: (٢٠٣٦)، وانظر: «علل الدارقطني»، رقم: (٢١١).

(٢) المصنف (١٦٤/٦).

(٣) أخرجه البخاري: (٣٧١٣).

(٤) أخرجه الإمام أحمد: (٩/١)، وغيره)، والبخاري: (٣٧١٢)، ومسلم: (١٧٥٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد: (٨/١)، والبخاري: (٣٧٥٠).

والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ، فقال لنا:
«قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل
إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما
باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^(١).



(١) «مجموع الفتاوى»: (٤٠٧/٣).

المبحث الثاني التعريف بالصحب وفضائلهم في القرآن والسنة

❖ أولاً: التعريف بمصطلح الصحابة في اللغة والشرع

الصحابة كلمة تدل في الأصل على مقارنة الشيء ومقاربتة^(١).

* أما الصحابة في الاصطلاح، فقد اختلف العلماء في حد الصحبة على أقوال، أشهرها^(٢):

١ - أنه: «من رأى النبي ﷺ مسلماً»، يقول السخاوي: «وممن نص على الاكتفاء بها أحمد؛ فإنه قال: (من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه).

وكذا قال ابن المديني: (من صحب النبي ﷺ - أو رآه ولو ساعة من نهار، فهو من أصحاب النبي ﷺ -)، وتبعهما تلميذهما البخاري^(٣).

(١) انظر: العين: (١٢٤/٣)، تهذيب اللغة: (١٥٣/٤)، الصحاح: (١٦١/١)، لسان العرب: (٥١٩/١)، وانظر: مقاييس اللغة: (٣٣٥/٣).

(٢) انظر: مقدمة ابن الصلاح: (٢٩٢)، التقريب والتيسير، للنووي: (٩٢)، تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، للعلائي: (٢٩)، فتح المغيث: (٧٨/٤)، وانظر: صحيح البخاري: (٢/٥)، منهاج السنة: (٣٨٣/٨ - ٣٩٠)، (٤٧٠/٨).

(٣) فتح المغيث: (٧٨/٤).

٢ - وذهب بعض العلماء، ويعزى هذا القول لأهل الأصول، أنهم اشترطوا «طول الصحبة، وكثرة المجالسة والرؤية»، وبعضهم زاد اشتراط الرواية^(١)، وثم أقوال أخرى في تعريف الصحابي، تنظر في مظانها^(٢).

ويعرف الصحابي: «بالتواتر، وتارة بالاستفاضة القاصرة عن التواتر، وتارة بأن يروى عن آحاد الصحابة أنه صحابي، وتارة بقوله وإخباره عن نفسه - بعد ثبوت عدالته - بأنه صحابي، والله أعلم»^(٣)، وهم طبقات ومتفاوتون في الفضل^(٤).

❖ ثانياً: فضائلهم في القرآن الكريم

لقد أثنى الله على صحابة النبي ﷺ، في غير آية، والثناء عليهم ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

* الأول: الثناء عليهم بالعموم، ومن الآيات الدالة على الثناء عليهم بالعموم، قوله تعالى:

(١) وهو ضعيف، انظر: فتح المغيث: (٨٨/٤).

(٢) انظر هذه الأقوال والمناقشات حولها في كتاب: تحقيق منيف الرتبة، للحافظ العلائي

ﷺ.

(٣) مقدمة ابن الصلاح: (٢٩٤).

(٤) جامع البيان: (٣٩٥/٢٢)، منهاج السنة: (٢٦/٢)، مجموعة الرسائل والمسائل،

لابن تيمية، ت: رشيد رضا: (٣٨/١).

« ١ - ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُبْجُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر: ٨ - ١٠]. »

٢ - ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠]. »

٣ - ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ [التوبة: ١١٧]. »

٤ - ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح: ١٨]. »

٥ - ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعَاظَ
فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

٦ - ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقْبَلُوا الْحَسَنَاتِ لَئِنْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ كَشَفْعِ النَّبِيِّينَ الصَّالِحِينَ﴾
مَنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ
إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ الْفِرْعَوْنَ وَآلِهِمْ هَامَانَ ابْنَةَ مَرْيَمَ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ لُقْيَانَ وَتِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ
الَّتِي نُنزِّلُهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ لَعَلَّكَ تَتَّقِي ﴿١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤].

٧ - ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّكَ أَكْثَرَ دَرَجَةً
مَنْ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

٨ - ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّالِقَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢١، ١٢٢].

٩ - ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

١٠ - ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

يقول العلامة الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني في نص جامع نفيس بعد إيراد عدة آيات في فضل الصحابة، وقد قدمناها جميعها بحمد الله: «ومن تدبر هذه الآيات وغيرها من القرآن وجد الشاء على المهاجرين عامًا سالمًا من التخصيص، فإذا تتبّع السنة أيضًا لم يجد ما ينافي ذلك، سوى فلتاتٍ ربما كانت تقع من بعضهم فلا تضرهم.

فمنها: ما جرى منهم يوم بدر، من ترجيح أخذ الفداء، فأقرهم الله ﷺ عليه وأنزل: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) [الأفال: ٦٨ - ٦٩].

ومنها: تولي بعضهم يوم أحد فأنزل الله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢) [آل عمران: ١٥٥].

ومنها: قصة مسطح بن أثاثة لما خاض مع أهل الإفك فكان ما كان، وأقسم أبو بكر أن لا ينفق عليه، فأنزل الله ﷺ: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣) [النور: ٢٢].

-
- (١) أخرجه مسلم (١٧٦٣)، وأحمد (٢٠٨) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.
 (٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٦) من حديث ابن عمر ﷺ. وأحمد (٤٩٠) في حكاية بين عبد الرحمن بن عوف والوليد بن عقبة.
 (٣) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) عن عبد الله بن عتبة عن عائشة. وأخرجه البخاري (٢٥٩٥)، ومسلم (٢٧٧٠) عن عروة عن عائشة.

ومنها: قصة حاطب بن أبي بلتعة^(١).

وأشدّ ما وقع من ذلك قصة عبد الله بن أبي سرح، مع أنه ليس من المهاجرين الأولين، وإنما كان ممن أسلم قبيل الفتح، ثم ارتد، فأمر النبي ﷺ يوم الفتح بقتله فلم يقتل وأسلم^(٢).

قال ابن عبد البر^(٣): «فحسن إسلامه، فلم يظهر منه شيء ينكر عليه بعد ذلك، هو أحد النجباء العقلاء الكرماء من قريش».

ثم ذكر ولايته مصر وفتح أفريقيا والنوبة، ثم قال: «ودعا ربه فقال: اللهم اجعل خاتمة عملي صلاة الصبح، فتوضأ ثم صلى الصبح، فقرأ في الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الثانية بأم القرآن وسورة، ثم سلّم عن يمينه، وذهب يسلم عن يساره، فقبض الله روحه. ذكر ذلك كله يزيد بن أبي حبيب وغيره».

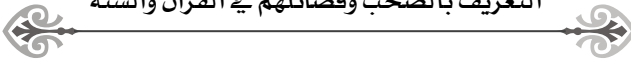
ومع ذلك فلم يُرو عنه من الحديث شيء إلا حديث واحد قد رواه غيره من الصحابة، ومع ذلك لم يصح السند إليه.

وأما الأنصار فحالهم قريب من حال المهاجرين، إلا أنه لم يعم

(١) أخرجها البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث عليّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٨٥)، والنسائي في «الكبرى» (٣٥١٦)، والحاكم: (٤٧/٣) وصححه على شرط مسلم، والبيهقي: (٧٠/٤) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه.

(٣) في «الاستيعاب» (٣٧٥/٢ - ٣٧٨ = بهامش الإصابة).



الإيمان جميع الأوس والخزرج بل كان منهم أفراد منافقون .

وقد ذكر الله ﷺ ذلك في كتابه ، لكن أولئك الأفراد كانوا قليلاً ، كما يظهر من الآيات والأحاديث ، وكما يُعلم ذلك بدلالة المعقول ؛ فإنهم لو كانوا هم الأكثر أو كثيراً ، لكانوا أظهروا كُفْرهم ، ولم يحتاجوا إلى النفاق ، ومع ذلك فقد كانوا معروفين عند النبي ﷺ والمسلمين ، إن لم يكن علمَ اليقين فالظن ، قال الله ﷻ : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ ۖ ﴾ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿ [القتال: ٢٩ - ٣٠] .

وكانوا مع ذلك خائفين كما قال الله ﷻ فيهم : ﴿ يَخْشَوْنَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ [المنافقون: ٤] .

وكانوا مع ذلك إلى نقص بالهلاك أو التوبة والإخلاص ، والغالب على الظن أنّ من بقي منهم بعد وفاة النبي ﷺ لم يتعرّض أحدٌ منهم لأن يذكر عن النبي ﷺ شيئاً لخوفهم من المؤمنين ، وعلمهم أنّ أحدهم لو أخبر بشيء عن النبي ﷺ فكذب فيه لأنكره عليه المؤمنون وفضحوه بما كانوا يظنونونه من نفاقه ، أو لأعلمهم بنفاقه حذيفة أو غيره ممن كان قد أسر إليه النبي ﷺ بأسماء المنافقين .

وأما الأعراب فقد قال الله ﷻ : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُلُوا أَسَأَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٤] .

والظاهر أنّ أهل هذه الآية آمنوا بعد ذلك أو غالبهم ، كما تقتضيه كلمة «لما» .

وقد ذكر الله ﷺ فرقههم في سورة التوبة [٩٥ - ١٠٥] فذكر أنّ منهم منافقين ، ومنهم مؤمنون مخلصون ، ومنهم مخلطون يرجى لهم الخير ، وقال في آخر ذلك: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] .

ثم ابتلاهم الله ﷺ بعد غزوة العُسرة بوفاة رسوله ﷺ ، فارتدّ أقوامٌ من الأعراب ، فعرفهم المؤمنون حقّ المعرفة .

وأما الطُّلقاء من أهل مكة فلم يرتدّ منهم أحد بعده ﷺ ، وقد شملتهم بعضُ الآيات المتقدّمة كما يعلم بمراجعتها ، وكذلك تشملهم بعض الأحاديث ، كالحديث المشهور: «خير الناس قرني...»^(١) .

وبالجملة فتعديل الله ﷺ ورسوله ثابت للمهاجرين عامة ، ولم يجئ ما يخصّصه .

وأما الأنصار؛ فالثناء عليهم عام ، ولكن قد كان من الأوس والخزرج منافقون لكنهم قليل ، ولم يحضر من المنافقين أحدٌ بيعة العقبة ، ولا شهد بدرًا ولا أحدًا ، فإنّ كبيرهم اعتزل بهم ، والظاهر أنه لم يبايع تحت الشجرة أحدٌ منهم ، وقد قيل: إنه كان هناك واحد منهم

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

فلم يبايع وقد سُمِّي (١).

وقول الله ﷺ في ذكر تخلفهم عن غزوة تبوك: ﴿وَلَا كِن كَرِهَ اللَّهُ
أُنْبِعَانَهُمْ فَتَبَطَّهْمُ وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَلْعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا
خَبَالًا﴾ الآية [التوبة: ٤٦، ٤٧] يقتضي أنه لم يشهد تبوك أحد منهم.

ولكن رُوي أن اثني عشر منهم اعترضوا النبي ﷺ مَرَّجَعَهُ مِنْ
تَبُوكَ ، وَأَرَادُوا تَرْدِيْتَهُ مِنَ الْعَقَبَةِ (٢).

وقد يقال - إن صح الخبر -: لعل هؤلاء لم يشهدوا تبوك، وإنما
ترصدوا قدومه ﷺ من تبوك، فالتقوه ببعض الطريق لما هموا به.
ومع ذلك ففي الخبر أن حذيفة عرف هؤلاء.

هذا، وقد سبق أن الظاهر أن من بقي من المنافقين لم يُرَوَّ عَنْ
أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْءٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

وأما الأعراب فقد تم امتحانهم بوفاته ﷺ ، فَمَنْ ثَبِتَ مِنْهُمْ
عَلَى الْإِسْلَامِ فَقَدْ ثَبِتَتْ عَدَالَتُهُ ، وَمَنْ ارْتَدَّ فَقَدْ زَالَتْ ، فَمَنْ عَادَ بَعْدَ
ذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيَحْتَاجُ إِلَى عَدَالَةٍ جَدِيدَةٍ .

وأما الطُّلُقَاءُ فَقَدْ شَمِلَتْهُمْ بَعْضُ الْآيَاتِ كَمَا عَرَفْتَ ، وَلَمْ تَقَعْ مِنْهُمْ
رَدَّةٌ .

(١) هو الجد بن قيس أخو بني سلمة . انظر «السيرة النبوية»: (ق ٣١٦/٣/٢) لابن هشام .
(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرى»: (٢٣/٩) من مرسل عروة بن الزبير، وذكره الواقدي
في «المغازي» (١٠٤٢/٣).

ولو اقتصر المخالف في المسألة على القول بأن مَنْ تأخّر إسلامه وقلّت صحبته يحتاج إلى البحث عنهم لكان لقوله وجهٌ في الجملة. وأوجه من ذلك مَنْ كان من الأعراب، ويحتمل أنه ممن ارتدّ عقب وفاة النبي ﷺ، فأما من علم أنه ممن ارتدّ فالأمر فيه أظهر.

هذا، وقد كان العرب يتحاشون من الكذب، وتأكد ذلك فيمن أسلم، وكان أحدهم - وإن رقّ دينه - لا يبلغ به أن يجترأ على الكذب على الله ورسوله، وكانوا يرون أنّ أصحاب رسول الله ﷺ متوافقون، وأنه إن تجرأ أحدٌ على الكذب افتضح.

ولو قال قائل: إنّ الله ﷻ منع القوم من تعمّد الكذب على نبيه ﷺ بمقتضى ضمانه بحفظ دينه، ولا سيّما مع إخباره بعدالتهم لَمَّا أبعد.

ومن تدبّر الأحاديث المروية عن من يمكن أن يتكلم فيه من الطلقاء ونحوهم = ظهر له صدق القوم؛ فإنّ المرويّ عن هؤلاء قليل، ولا تكاد تجد حديثاً يصحّ عن أحدٍ منهم إلا وقد صحّ بلفظه أو معناه عن غيره من المهاجرين أو الأنصار. وقد كانت بين القوم إحْنٌ^(١) بعد النبي ﷺ، فلو استساغ أحدٌ منهم الكذب لاختلق أحاديث تقتضي ذمّ خصمه، ولم نجد من هذا شيئاً صحيحاً صريحاً.

وفوق هذا كله فأهل السنة لم يدعوا عصمة القوم، بل غاية ما ادّعوه

(١) أي: حقد وعداوة.

أنه ثبت لهم أصل العدالة، ثم لم يثبت ما يزيلها. والمخالف يزعم أنه قد ثبت عنده في حق بعضهم ما يزيل العدالة، فانحصر الخلاف في تلك الأمور التي زعمها، فإذا أثبت أهل السنة أنها لم تصح، وأن ما صحَّ منها لا يقتضي زوال العدالة استتبَّ الأمر. فأما من ثبتَّ شهادةُ النبيِّ ﷺ له بالمغفرة والجنة فقد تضمن ذلك تعديلهم أوَّلاً وآخرًا. والله الموفق»^(١).

❖ القسم الثاني: الشاء على أقوام منهم بالخصوص، ومن هذا:

١ - الشاء على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

٢ - ثناء الله سبحانه على أهل بدر.

٣ - ثناء الله سبحانه على أهل أحد.

٤ - وأثنى الله على المبايعين تحت الشجرة.

وتدرك في مظانها.

❖ ثالثًا: فضائلهم في السنة

١ - حديث عمران بن حصين، عن النبي - ﷺ -: «خير أمتي قرني،

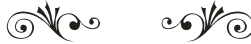
ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال عمران: «فلا أدري! أذكر بعد

(١) مجموع آثار المعلمي اليماني: (١٥/١٩ - ٢٨)، مع التحقيق.

قرنه قرنين أو ثلاثاً»^(١).

٢ - قوله ﷺ فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(٢).

٣ - وعنه رضي الله عنه أيضاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقولون: «هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟»، فيقولون: «نعم»؛ فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: «هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟»، فيقولون: «نعم»؛ فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: «هل فيكم من صاحب من أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ؟»، فيقولون: «نعم»؛ فيفتح لهم»^(٣).



(١) أخرجه الإمام أحمد: (٤/٤٢٧)، وغيره، والبخاري: (٦٤٢٨)، ومسلم: (٢٥٣٥)، وأبو داود: (٤٦٥٧)، والترمذي: (٢٢٢١).
 (٢) أخرجه الإمام أحمد: (١١/٣)، وغيره، والبخاري: (٣٦٧٣)، ومسلم: (٢٥٤١)، وروي أيضاً من غير حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
 (٣) أخرجه الإمام أحمد: (١٧/٣)، والبخاري: (٣٦٤٩)، ومسلم: (٢٥٣٢).

الفصل الثَّانِي

دور الصحابة والآل في جمع القرآن العظيم

وفيه تعريف بالدور الكبير للصحابة والآل في جمع القرآن الكريم، في عهد رسول الله ﷺ، وعهد أبي بكر، وعثمان رضي الله عنهم.

❖ القرآن في العهد النبوي:

لقد بدأ نزول القرآن على رسول الله ﷺ بمكة، وامتد نزوله إلى أن توفي ﷺ بالمدينة، فثبت في القرآن نفسه أن نزوله كان مفرقاً، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكِنٍّ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32].

فالقرآن إنما أنزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به.

وقد كان القرآن يكتب في عهد النبي ﷺ، وكان للوحي كتابه، ومنهم: زيد بن ثابت، وهو أشهر كتاب الوحي، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وابن أبي سرح، وغيرهم.

لكن مضى العهد النبوي، ولم يجمع القرآن بين دفتين - فيما وصلنا - وفي حديث زيد بن ثابت ما يدل على ذلك حيث قال له الصديق: «فتتبع القرآن فاجمعه»، وقال هو: «فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال»^(١).

وينبغي أن يعلم أن الاهتمام بحفظ القرآن وإقراءه كان سمة من سمات العهد النبوي، وكان للقرآن حفظته، وقد قتل في واقعة بئر معونة سبعون من القراء، مما يدل على مدى اتساع قاعدة حملة القرآن وجامعيه في صدورهم.

بل كان وقوع القتل المستحضر في حملة القرآن وجامعيه في الصدور هو الدافع الرئيس لبدء عملية الجمع الأول، مما يدل على أن الجمع في الصدور كان أوسع نطاقاً بين الصحابة من الجمع في الصحف.

ولم يكن القرآن مجموعاً بين دفتين في العهد النبوي لأمر، منها:

١ - لأن النسخ كان يرد على بعضه، ويرفع الشيء بعد الشيء من تلاوته، كما ينسخ بعض أحكامه، فلو جمعه، ثم رفعت تلاوة بعضه أدى ذلك إلى الاختلاف، واختلاط أمر الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين.

٢ - أن الحاجة لم تدع إلى ذلك، ولم يقع ما يوجب العمل بهذا

(١) رواه البخاري: (٤٩٨٦).

الضبط الكتابي المجموع للقرآن الكريم ، بدلالة أنه لو كان مما تحتاج إليه الأمة آنذاك ؛ لوجب العمل فيه ؛ إذ لا يجوز ترك ما الأمة بحاجة إليه .

❖ القرآن في عهد الصحابة:

* أولاً: عهد أبي بكر رضي الله عنه:

كان الخوف من ذهاب القراء ، وكثرة موتهم = هو السبب الرئيس الذي من أجله تحركت همم الصحابة لجمع القرآن بين دفتين ، فتولى هذه المهمة زيد بن ثابت رضي الله عنه في السنة الثانية عشرة من الهجرة بعد وقعة اليمامة ، وكانت له مؤهلات تؤهله للقيام بهذه المهمة ، وهي:

١ - أنه رجل شاب عاقل .

٢ - لم يكن متهماً عند الصحابة بما يشينه .

٣ - أنه كان من كتبة الوحي ، بل من أشهرهم .

إذا فقد قدم زيد على غيره ، «لأنه كان أجود خطأ ، وأعرفهم بالناسخ والمنسوخ ؛ وأعلمهم بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ ولأنه كان آخر من كتب الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ وشهد العرضتين الأخيرتين من القرآن ، وكتبهما... فلم يكن المراعى في الجمع السن والسابقة فيقدم غيره ، بل الشباب أنهض بمثل ذلك من الشيوخ»^(١) .

(١) انظر: معاني الأحرف السبعة ؛ لأبي الفضل الرازي: (٥٤٥ - ٥٤٦) .

وكانت مقاصد هذا الجمع، تتلخص في الآتي: مجرد جمع نسخة كاملة مكتوبة بين دفتين.

وقد اتكأ زيد على الأساسين اللذين كانا قد جمع بهما القرآن زمن النبي - ﷺ -، وهما:

١ - صدور الرجال.

٢ - الصحف المفردة وما يشبهها من أدوات الكتابة.

وتم الجمع وتوثيق المجموع، وبقي عند أبي بكر فعمر فحفصة بنت عمر بن الخطاب، إلى أن ماتت ﷺ، فأخذها مروان بن الحكم فشقها وأحرقها^(١).

(١) «مخافة أن يكون فيها خلاف ما نسخ عثمان فيقع الاختلاف»، الإبانة، لمكي: (٦١)، وجمال القراء: (٣٠٩/١).

قال ابن كثير: «... عن كثير بن أفلق قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف، جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارعوا في شيء أخروه، قال محمد: فقلت لكثير، وكان فيهم فيمن يكتب: هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا، قال محمد: فظننت ظناً إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة، فيكتبونها على قوله. صحيح أيضاً.

«قلت»: الربعة هي الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة - ﷺ -، فلما جمعها عثمان - ﷺ - في المصحف ردها إليها، ولم يحرقها في جملة ما حرقه مما سواها؛ لأنها هي بعينها «التي» كتبه، وانما رتبته، ثم أنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها، =

وفي نهاية هذا المبحث نسوق الكلام على لسان الجامع ، وهو زيد بن ثابت رضي الله عنه ، فإنه قال : «أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده» ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : «كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟» قال عمر : هذا والله خير ، «فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر» ، قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن فاجمعه ، «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن» ، قلت : «كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟» ، قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف ، وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها»^(١) .

= فما زالت عندها حتى ماتت ؛ ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها ، وتأول في ذلك ما تأول عثمان ، فضائل القرآن : (٨٥) .

(١) رواه البخاري : (٤٩٨٦) .

* ثانيًا: عهد عثمان رضي الله عنه:

في هذا العهد حصل اختلاف في القرآن، فقد بات الناس ينطلقون من المرسوم في قراءة المصحف بعد أن كان الانطلاق من المتلقى، فقام عثمان بعملية الجمع، في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين^(١)، وقامت على عدة مقاصد، وهي:

١ - أن تنسخ الصحف الأولى التي جمعها زيد بن ثابت في عهد أبي بكر الصديق في مصاحف متعددة.

٢ - أن ترسل نسخة إلى معظم الأمصار؛ فتكون مرجعًا للناس منه يقرؤون ويقرئون، وإليه يحتكمون عند الاختلاف.

٣ - أن يحرق ما عدا هذه النسخ.

وكونت لجنة خاصة لهذا الجمع من عدة أشخاص:

١ - زيد بن ثابت الأنصاري، وهو القائم بعملية الجمع في عهد أبي بكر.

٢ - عبدالله بن الزبير.

٣ - سعيد بن العاص.

٤ - عبدالرحمن بن الحارث بن هشام.

(١) فتح الباري: (١٧/٩).

٥ - أبي بن كعب ، وغيرهم .

ووضع لهم منهج خاص في الرسم ، وهو: أن يرسم القرآن على لسان قريش ، فإن القرآن نزل بلسانهم^(١) ، وكان القصد من هذا العمل نسخ مصاحف من مصحف أبي بكر ، الذي هو أصل العمل^(٢) .

بعد أن تم نسخ المصاحف العثمانية بالكيفية التي أوضحناها سابقاً ، أمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بإرسالها إلى الأقطار الإسلامية الشهيرة ، وأرسل مع كل مصحف مقرئاً من الذين توافق قراءته في أغلبه قراءة أهل ذلك القطر ، وذلك لأن التلقي أساس في قراءة القرآن^(٣) .

(١) وكمثال على نوع الاختلاف ، أنهم اختلفوا في لفظ «التابوت» هل يكتب بالتاء المفتوحة أو بالتاء المربوطة .

وقيل: إن جهة الاختلاف هي في اختيار حرف واحد يكتب من بين السبعة وإيثار حرف قريش على غيره .

(٢) ومن أهل العلم من رأى: أن عثمان بن عفان تخير حرفاً من السبعة ، فنسخه وسار عليه في المصحف ، وهو قول الطبري .

ومنهم من رأى: أن عثمان رسم المصحف بحيث يحتمل ما يمكن احتمالاً من الأحرف السبعة ، وسيبقى بعضها لم يحتمله الرسم رغم كونه غير منسوخ ، ومن هؤلاء من يسمي هذه الكتابة كتابة على حرف واحد كمكي بن أبي طالب ، ومنهم من لا يسميه بذلك كابن الجزري ، ولكن ابن الجزري يشترط أن تكون عملية استيعاب الأحرف للرسم بحيث لم تدع من العرضة الأخيرة حرفاً متفادياً ما نسخ من الأحرف السبعة .

ومنهم من رأى: من جهة أخرى أن الصحف كانت غير مرتبة السور؛ فرتبها عثمان .
(٣) قال ابن الجزري: «فكتب منها عدة مصاحف: فوجه بمصحف للبصرة ، ومصحف =

وأمر أن يحرق كل ما عداها من الصحف أو المصاحف الشخصية الموجودة لدى الصحابة مما تخالفها؛ ليستأصل بذلك سبب الخلاف والنزاع بين المسلمين في قراءة كتاب الله، فاستجاب لذلك الصحابة - رضي الله عنهم - ، فجمعت المصاحف والصحف وحرقت أو غسلت بالماء .

ونحن نسوق حديث الباب الذي رواه البخاري عن ابن شهاب ، أن أنس بن مالك ، حدثه: أن حذيفة بن اليمان ، قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية ، وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة: «أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك» ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم» ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو

= إلى الكوفة ، ومصحف إلى الشام ، وترك مصحفاً بالمدينة ، وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له الإمام ، ووجه بمصحف إلى مكة ، ومصحف إلى اليمن ، ومصحف إلى البحرين» .

مصحف، أن يحرق.

قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، سمع زيد بن ثابت قال: «فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها في المصحف»^(١).



(١) رواه البخاري: (٤٩٨٧).

الفصل الثالث،

اهتمام الصحابة والآل بتفسير القرآن

المبحث الأول

اهتمامهم بعلم التفسير

لم يكن اهتمام الصحابة رضي الله عنهم منصباً على حفظ القرآن دون فهمه، فعن أبي الزاهرية، أن رجلاً أتى أبا الدرداء بابنه، فقال: يا أبا الدرداء إن ابني هذا قد جمع القرآن^(١)، فقال: «اللهم غفرا، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع»^(٢).

وعن أبي جمرة، قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث، فقال: «لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول»، وفي رواية: «أحب إلي من أن أقرأ القرآن أجمع هذرمة»، وفي رواية، عن أبي جمرة، قال: قلت لابن عباس: إني لأقرأ القرآن في ليلة مرة، أو مرتين، قال: فأكثر ظني أنه قال: مرتين، فقال ابن عباس: «لأن لا أقرأ إلا سورة واحدة، أحب إلي

(١) مقصوده بالجمع هنا: الحفظ، والتلاوة.

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد: (١٣٢)، والمرشد الوجيز: (١٩٤).

من أن أصنع ذلك، فإن كنت لا بد فاعلاً، فاقراً قراءة تسمع أذنيك، وتوعيه قلبك»^(١)، فالأهم أن يقرأ المرء الكتاب قراءة تعيها أذن واعية، وأن يفهم مراد الله تعالى، والغاية من كلامه.

وقد قال ابن عباس، في قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] «يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»^(٢).

وكان للصحابة اهتمام بعلم التفسير، وكانوا يعقدون المجالس الخاصة لتدريس القرآن، فعن إبراهيم التيمي، قال: خلا عمر ذات يوم فجعل يحدث نفسه كيف تختلف هذه الأمة ونبينا واحداً؟ فأرسل إلى ابن عباس فقال: «كيف تختلف هذه الأمة ونبينا واحداً؛ وقبلتها واحدة؟» فقال ابن عباس: «يا أمير المؤمنين، إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا». قال: فزبره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس. ونظر عمر فيما قال، فعرفه، فأرسل إليه، فقال: «أعد علي ما قلت». فأعاده عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه^(٣).

(١) فضائل القرآن، لأبي عبيد: (١٥٧)، وسنن سعيد بن منصور: (٤٧٧/٢)، (١٥٩)،

(١٦١)، وتفسير ابن كثير: (٧٨/١).

(٢) تفسير الطبري: (٨/٥).

(٣) فضائل القرآن: (١٠٢/١).

وقصة إدخال عمر لابن عباس في أشياخ بدر، وسؤالهم عن نزول سورة النصر شهيرة، ومن هذا أيضاً، ما قاله ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السبحة وفرغ دخل مربرداً له، فأرسل إلى فتیان قد قرءوا القرآن، منهم ابن عباس، وابن أخي عيينة، قال: فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسونه، فإذا كانت القائلة انصرف. قال فمروا بهذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ابن زيد: وهؤلاء المجاهدون في سبيل الله. فقال ابن عباس، لبعض من كان إلى جنبه: اقتتل الرجلان. فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين. قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس، قال: أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله؛ يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشتري نفسي فقاتله، فاقتتل الرجلان. فقال عمر: لله بلادك يا ابن عباس^(١).

ومن شأنهم سؤال العلماء بالكتاب أهل الرسوخ عنه، ورد كلام بعضهم لبعض للوصول للمراد بالآية الكريمة، ومنه: عن سعيد بن جبیر،

(١) الطبري: (٣/٥٨٨).

عن ابن عباس ، حدثه قال: «بينما أنا في الحجر جالس ، أتاني رجل يسأل عن ﴿وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله ، ثم تأوي إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عني ، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم ، فسأله عن ﴿العاديات ضبحًا﴾ فقال: سألت عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم ، سألت عنها ابن عباس ، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله ، قال: اذهب فادعه لي ؛ فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به ، والله لكنت أول غزوة في الإسلام لبدر ، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير ، وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحًا؟ إنما العاديات ضبحًا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى ؛ قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه»^(١) .

وكذلك قال قتادة: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً»^(٢) ، أي: عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان الصحابة يحثون على تعلم التفسير ، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لقد عشنا دهرًا طويلًا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ، ثم لقد رأيت رجالًا يؤتى أحدهم القرآن

(١) الطبري: (٥٧٣/٢٤) .

(٢) سير أعلام النبلاء: (٢٧١/٥) .

قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل»^(١).

وكان ابن عمر يقول: «كان الفضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرءون القرآن منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به»^(٢).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها»^(٣).

وكان لهم اهتمام بمن ينبغ في علم التفسير منهم، وثناء عليه، وأشهر مفسري الصحابة هو ابن عباس رضي الله عنهما، ابن عم النبي ﷺ، وصاحبه، يقول طلحة بن عبيد الله: «لقد أعطي ابن عباس فهماً ولقناً وعلماً، ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم عليه أحداً»^(٤). وقال عبد الله بن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»^(٥). وعن مجاهد، قال: «كان ابن عباس رضي الله تعالى عنه يسمى البحر من كثرة علمه»^(٦). وعن طاووس،

(١) إحياء علوم الدين: (٢٧٥/١).

(٢) تفسير القرطبي: (٤٠/١).

(٣) السابق: (٣٩/١).

(٤) الطبقات الكبرى: (٣٧٠/٢). سير أعلام النبلاء: (٣٤٧/٣).

(٥) الطبقات الكبرى: (٣٦٦/٢). تفسير الطبري: (٨٤/١).

(٦) حلية الأولياء: (٣١٦/١). الطبقات الكبرى: (٣٦٦/٢).

قال: «ما رأيت أروع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس»^(١). وعنه أيضاً، قال: «أدرکت نحواً من خمس مائة من الصحابة، إذا ذاکروا ابن عباس، فخالفوه، فلم یزل یقررهم حتی ینتهوا إلى قوله»^(٢).

وقال عطاء بن أبي رباح: «ما رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس، أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده یصدرهم کلهم من واد واسع»^(٣).

وعن أبي صالح باذام مولى أم هانئ، قال: «لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جمیع قریش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد یقدر علی أن یجیء ولا أن یذهب، قال: فدخلت علیه فأخبرته بمكانهم علی بابہ، فقال: لي: ضع لي وضوءاً، قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج وقل لهم: «من كان یرید أن یسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل» قال: فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتی ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر، ثم قال: «إخوانکم» فخرجوا، ثم قال: «اخرج فقل: من أراد أن یسأل عن تفسیر القرآن وتأويله فليدخل» قال: فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتی ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما

(١) سير أعلام النبلاء: (٣/٣٥٠).

(٢) السابق: (٣/٣٥١).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة: (١/٥٦).

سألوه عنه أو أكثر، ثم قال: «إخوانكم» فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقہ فليدخل، فخرجت فقلت لهم، قال: فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم «فخرجوا...»^(١) الخ.

عبد الله بن عباس، هذا العالم بالقرآن، ابن عم النبي ﷺ، والذي دعا له قائلاً: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(٢)، كان عمر يدخله مع أشياخ بدر، عن ابن عباس ﷺ، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: «إنه ممن قد علمتم» قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس، أذكاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تعلم»^(٣).

وفي السنة التي حُوصِر فيها عثمان، وقُتِل، أرسل ابن عباس أميراً على

(١) حلية الأولياء: (١/٣٢٠).

(٢) البخاري: (١٤٣)، ومسنند أحمد: (٢٣٩٧).

(٣) البخاري: (٤٢٤٩).

الحج ، وفيها قال أبو وائل : «خطب ابن عباس - وهو على الموسم - فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول: لو سمعته فارس والروم لأسلمت» ، وفي رواية أن السورة التي قرأها سورة النور ، قال أبو وائل : «قرأ ابن عباس سورة النور ، فجعل يفسرها ، فقال رجل : لو سمعت هذا الديلم لأسلمت»^(١) .

كان القرآن بين عيني ابن عباس يتلمس كل شيء لفهمه ، والعمل به .

قال ابن عباس : «كنت ما أدري ما فاطر السموات حتى احتكم إلي أعرابيان في بئر ، قال أحدهما : أنا فطرتها ، وأنا ابتدأت حفرها»^(٢) .

وروي من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنه : «بينما ابن عباس في المسجد الحرام وعنده ابن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين^(٣) ، يسير حتى سلم وجلس .

فأقبل عليه ابن عباس فقال أنشدنا ، فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أو رائح فمهجر^(٤)

(١) انظر: المستدرک: (٣ : ٦١٨) ، والإصابة: (٤ : ١٢٩) .

(٢) أخرجه الطبري: (١٧٥/٩) .

(٣) اللذان فيهما صفرة .

(٤) أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر!
بحاجة نفس لم تقل في جوابها فتبلغ عذراً والمقالة تعذر
تهيم إلى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم إن دنت لك نافع ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

حتى أتى على آخرها^(١).

فأقبل عليه ابن الأزرق فقال: الله يا ابن عباس، إنا لنضرب إليك أكباد المطي من أقاصي الأرض لنسألك عن الحلال والحرام فتثاقل عنا، ويأتيك مترف من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزي وأما بالعشي فيخسر
فقال ابن عباس: ليس هكذا قال، قال:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشي فيخصر
قال: ما أراك إلا وقد حفظت البيت، قال: نعم، وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتكها، قال: فإني أشاء، قال: فأنشده القصيدة حتى جاء على آخرها، ثم أقبل على ابن ربيعة فقال: أنشد، فقال:

تشط غداً دار جيراننا

فقال ابن عباس: وللدار بعد غد أبعد.

فقال: كذاك قلت أصلحك الله، أسمعته؟ قال: لا ولكن كذلك ينبغي^(٢).

(١) وهي قرابة ثمانين بيتاً، وقد جاء في بعض الروايات أن ابن عباس تضجر من سؤالات ابن الأزرق: «فجعل يسأله حتى أمله، فجعل ابن عباس يظهر الضجر».

(٢) المجلس الصالح، لأبي الفرج المعافى الجريري: (٧٢٦)، والخبر في الكامل: (١٦٨/٣).

وممن ذكر له اهتمام بالتفسير من آل البيت^(١):

١ - محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني أبو جعفر الباقر^(٢).

٢ - جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق^(٣).

٣ - نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، من ربات العبادة والصلاح والزهد والورع، عالمة بالتفسير والحديث.

وانتقلت إلى القاهرة مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق، وقيل: مع أبيها الحسن الذي عين والياً على مصر من قبل أبي جعفر المنصور. وحجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن الكريم وتفسيره^(٤).



= وذكر درويش في إعراب القرآن، (٣٨٣/١٠): «ثم إن نافعاً اتفق له أنه سأل ابن عباس عن قوله تعالى ﴿لَا تَنظَمُونَ فِيهَا وَلَا تَصْحَوْنَ﴾ قال: لا تعرق فيها من شدة حرّ الشمس قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت قول الشاعر «فيضحى»».

(١) انظر: التفسير والمفسرون، محمد هادي معرفة، (٤٢٥/١).

(٢) طبقات المفسرين، للداودي: (٢٠٠/٢)، ومعجم المفسرين: (٥٧٥/٢).

(٣) معجم المفسرين، لعادل نويهض: (١٢٥)، وله روايات في التفسير في تفسير الطبري وغيره.

(٤) معجم المفسرين: (٧٠٣).

المبحث الثاني

مختصر في تاريخ التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم (١)

❖ أولاً: علم التفسير في عهد أبي بكر رضي الله عنه (ت ١٣ هـ)

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تولى الخلافة الصديق أبو بكر رضي الله عنه، وكانت مدة خلافته سنتين ونصفاً.

ومن أهم أعماله، فيما يتعلق بالقرآن: جمع القرآن، وقد كلف عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت بتلك المهمة.

وتم جمع القرآن (الجمع الأول) في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وفي هذا العهد لا نكاد نجد إلا تفسيرات قليلة يمكن إعادتها إليه؛ لأنها عن أبي بكر الصديق.

وقد نقل عن أبي بكر بعض التفسيرات، ومن أمثلة ذلك:

١ - عن الشعبي أن أبا بكر رضي الله عنه قال في الكلاله: «أقول فيها برأيي، فإن كان صواباً فمن الله: هو ما دون الولد والوالد» قال: فلمّا كان عمر

(١) اعتمدنا في هذا المختصر على محاضرات «تاريخ التفسير» للدكتور مساعد الطيار، و«المفسرون من الصحابة» للشيخ عبدالرحمن المشد، من إصدارات مركز تفسير.

ﷺ، قال: «إني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكرٍ»^(١)، ونلاحظ هنا المعنى اللغوي، والتكييف الفقهي، كما نلاحظ قدر علم الصديق ﷺ، ومدى تقدير الصحابة لهذا العلم.

٢ - وعن أبي معمرٍ، قال: قال أبو بكرٍ الصديق ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًا﴾ [عبر: ٣١]: «أي أرضٍ تقلني، وأي سماءٍ تظلني، إذا قلت في القرآن ما لا أعلم»^(٢).

والظاهر أن مراد أبي بكرٍ ﷺ ما وراء المعنى، ولذلك توقف فيه.

ومن ألوان التفسير التي ظهرت في عهد أبي بكرٍ ﷺ، الاستدراك على بعض الخطأ في تفسير كلام الله ﷻ.

ومنه: استدراكه ﷺ على من فهم من قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أِهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]، غير المعنى المراد من الآية، فعن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكرٍ الصديق، أنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ

(١) أخرجه الدارمي (٢٩٧٢)، والطبري (٤٥٧/٦)، وصححه الألباني إلى الشعبي السلسلة الضعيفة: (٤٦٥٣)، إذ قال: قد صح عن الشعبي أنه قال: سئل أبو بكر عن الكلالة....

(٢) أخرجه الطبري (٧٢/١)، وأورده ابن كثير في تفسيره: (١١/١) قائلاً: تخرَّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به....

إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ^{﴿١﴾}، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»^(١).

فلما ظهر هذا الفهم الخاطيء للآية تصدى له الصديق رضي الله عنه، وبين لهم وجه الصواب في الآية، والفهم الصحيح لها.

❖ ثانيًا: عهد عمر رضي الله عنه (١٣ - ٢٣ هـ)

كان الأمر في أول عهده رضي الله عنه نفس ما كان عليه في عهد الصديق، ثم كانت بدايات التعليم المنظم، وظهر ذلك من خلال الآتي:

١ - إرسال الصحابة إلى الأمصار:

بعث عمر رضي الله عنه بعض الصحابة إلى الأمصار، أمثال: معاذ، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، إلى الشام، وهنا أعرض شيئًا ممن كان له أثر في مجرى التاريخ التفسيري.

قال ابن سعد: «جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وأبو أيوب وأبو الدرداء، فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/١)، وأبو داود (٤٣٤٠)، والترمذي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وصححه الترمذي والألباني.

من يعلمهم القرآن ويفقههم ، فأعني يا أمير المؤمنين برجالٍ يعلمونهم ، فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم ، إن أجبتهم فاستهموا ، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا ، فقالوا: ما كنا لتسأهم ، هذا شيخٌ كبيرٌ لأبي أيوب وأما هذا فسقيمٌ لأبي بن كعبٍ فخرج معاذٌ وعبادة وأبو الدرداء ، فقال عمر: ابدؤوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوهٍ مختلفةٍ ، منهم من يلقن فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفةً من الناس فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحدٌ وليخرج واحدٌ إلى دمشق والآخر إلى فلسطين . وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ومعاذٌ إلى فلسطين ، وأما معاذ فمات عام طاعون عمواس ، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها ، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات^(١) .

وروى ابن سعد بسند رجاله ثقات^(٢) عن عامرٍ أن مهاجر عبد الله بن مسعودٍ كان بحمص ، فحدره عمر إلى الكوفة ، وكتب إليهم: «إني والله الذي لا إله إلا هو آثرتكم به على نفسي ، فخذوا منه»^(٣) .

فظهر من ذلك بدايات التعليم المنظم للقرآن وعلومه بإرسال علماء من الصحابة إلى الأمصار المختلفة لتعليمهم وتفقيهم .

(١) الطبقات الكبرى: (٣٥٦/٢) (طبعة دار صادر).

(٢) قاله الألباني في إرواء الغليل: (٣٤٢/٨).

(٣) الطبقات الكبرى: (١٥٧/٣).

٢ - المجالس العلمية العمرية:

فقد كان عمر رضي الله عنه يعقد المجالس الخاصة بمدارسة القرآن الكريم ، بل كان يهتم بأناس ممن علموا الكتاب وفقهه ، وممن برزوا في هذا الجانب لتلك المجالس ، ومن أمثلة ذلك ما روى الطبري بسنده ، قال ابن زيد في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السبحة وفرغ دخل مربداً له ، فأرسل إلى فتیانٍ قد قرءوا القرآن ، منهم ابن عباس ، وابن أخي عيينة ، قال: فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسونه ، فإذا كانت القائلة انصرف . قال فمرّوا بهذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] ، ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ، قال ابن زيد: وهؤلاء المجاهدون في سبيل الله . فقال ابن عباس ، لبعض من كان إلى جنبه: اقتتل الرجلان . فسمع عمر ما قال ، فقال: وأي شيءٍ قلت ؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين . قال: ماذا قلت ؟ اقتتل الرجلان ؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس ، قال: أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم ، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ؛ يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله ، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم ، قال هذا: وأنا أشتري نفسي فقاتله ، فاقتتل الرجلان . فقال عمر: لله بلادك يا ابن عباس^(١) .

(١) أخرجه الطبري (٣/٥٨٨) ، والحاكم (٣/٦٢٢) ، وصححه .

ومن ذلك، مجلس عمر رضي الله عنه، مع أشياخ بدر، والاهتمام بابن عباس، وحضوره تلك المجالس فعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: «إنه ممن قد علمتم» قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رئيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١، ٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً. قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تعلم»^(١).

هذه المجالس شكلت رافداً مهماً لتدارس القرآن الكريم، وتفسيره، والاستنباط منه، ويظهر لنا مدى حرص الفاروق رضي الله عنه على إبراز الطاقات التفسيرية لدى ابن عباس رضي الله عنه.

٣ - السؤال عما أشكل:

كان السؤال عن المشكل واقعاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن ظهر نوع جديد من البحث عن مشكلات القرآن، وهو التعنت في ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٤)، وأطرافه في (٣٦٢٧).

فأما النوع الأول، فمن أمثلته ما ورد عن سعيد بن المسيّب، أن عمر بن الخطّاب أتى على هذه الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] فأتى أبيّ بن كعب فسأله: أيّنا لم يظلم؟ فقال له: «يا أمير المؤمنين، إنّما ذاك الشّرك، أما سمعت قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»^(١).

فإذا كان السؤال عن المشكل قد فعله عمر، فهناك بحث عن مشكلات القرآن على جهة التعنت، - وهو النوع الثاني - وقصته مع صبيغ في ذلك مشهورة حيث كان يسأل عن متشابه القرآن تعنتاً، فأدبه عمر حتى رجع عن ذلك.

عن أبي عثمان، أن رجلاً كان من بني يربوع، يقال له صبيغ، سأل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عن الذّاريات والتّازعات والمرسلات أو عن إحداهنّ، فقال له عمر: «ضع عن رأسك» فوضع عن رأسه فإذا له وفيرة، فقال: «لو وجدتك مخلوقاً لضربت الذي فيه عيناك» قال: ثمّ كتب إلى أهل البصرة «أن لا تجالسوه» أو قال: «كتب إلينا أن لا تجالسوه»، قال: «فلو جلس إلينا ونحن مائة لتفرّقنا عنه»^(٢).

✽ سؤال عمر عن ما أشكل عليه:

كما سبق أن السؤال عن المشكل قد وقع في عهد عمر رضي الله عنه، وكان

(١) أخرجه الحاكم (٣/٣٤٥).

(٢) هذه القصة تروى مختصرة ومطولة، وهذا لفظ ابن عساكر (٢٣/٤١٣)، وقال ابن كثير في تفسيره: (٧/٤١٤): إن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر.

عمر يتصدى لحل هذه الإشكالات ، بل وقع الإشكال عند عمر رضي الله عنه - نفسه - ، فقد قال سعيد بن المسيّب: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: «يا أيّها النّاس ، ما تقولون في قول الله صلى الله عليه وآله: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ خَوْفٍ﴾ [النحل: ٤٧]؟» فسكت النّاس ، فقال شيخٌ من بني هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين ، التّخوّف التّنقّص . فخرج رجلٌ ، فقال: يا فلان ، ما فعل دينك ؟ قال: تخوّفته ، أي تنقّصته ، فرجع فأخبر عمر ، فقال عمر: «أتعرف العرب ذلك في أشعارهم؟» قال: نعم . قال شاعرنا أبو كبير الهذليّ يصف ناقهً تنقّص السّير سنامها بعد تمكه واكتنازه:

تخوّف الرّحل منها تامكاً قرداً كما تخوّف عود النبعة السفن
فقال عمر: «يا أيّها النّاس ، عليكم بديوانكم شعر الجاهليّة فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم»^(١) .

وعن ابن شهابٍ أنّ أنس بن مالكٍ حدّثه أنّه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال الله: ﴿وَقَضَبًا ۖ (٢٨) وَرِيثُونَ وَنَحْلًا ۖ (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۖ (٣٠) وَفِكَهَةً وَأَبَا ۖ﴾ [عبس: ٢٨ - ٣١] كلّ هذا قد علمناه ، فما الأبّ؟ ثمّ ضرب بيده ، ثمّ قال: لعمرك إنّ هذا لهو التّكلّف ، واتّبعوا ما يتبيّن لكم في هذا الكتاب . قال عمر: وما يتبيّن فعليكم به ، وما لا فدعوه^(٢) .

(١) الجامع لأحكام القرطبي: للقرطبي (١٠/١١٠، ١١١)، والتحرير والتنوير: للطاهر ابن عاشور (٢٢/١) .

(٢) أخرجه الطبري (٢٤/١٢٣)، وصححه ابن كثير في تفسيره: (٣٢٥/٨) .

٤ - تنزيل الآية على الواقع:

ظهر أيضاً في عهد عمر رضي الله عنه، نوع من تنزيل الآيات على أمور الواقع الموجود في هذا العهد، ومما يروى في ذلك أن عمر أبصر مع جابر بن عبد الله إنساناً يحمل شيئاً، فقال: «ما هذا؟» فقال: لحمٌ اشتريته بدرهم، فقال عمر: «ما يقرم أحدكم قرمةً إلا أخرج درهماً فاشترى به لحمًا، أما سمعتم الله يقول: ﴿أَذْهَبَتْ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾ [الأحاف: ٢٠]»^(١).

❖ ثالثاً: عهد عثمان رضي الله عنه (٢٣ - ٣٥ هـ)

بعد وفاة عمر رضي الله عنه، تولى الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت مدة خلافته (١٢) سنة، وسنقدم بأهم أعماله رضي الله عنه، لندخل إلى ملامح التفسير في عهده.

وقد ظهرت أعمال جليلة تتعلق بكتاب الله تعالى، ومنها:

١ - نسخ المصاحف عام (٢٥) هـ.

٢ - الإقراء.

ولم يكن قد تصدى للتفسير، وأقواله في ذلك قليلة، وذلك لانشغاله

(١) تفسير عبد الرزاق: (٣/١٩٦)، وانظر: الدر المنثور: (٧/٤٤٥: ٤٤٧).

بالإقراء ثم بالخلافة .

ولكن ظهر في هذا العهد أئمة اشتهروا بالعلم ، وبقي هنا أن نذكر بعض من اشتهر من الصحابة بالعلم في عهده وهم على سبيل المثال : ابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبي بن كعب .

ولعلنا نذكر شيئاً مما ورد عنهم في بعض الروايات التفسيرية .

✽ أبو الدرداء رضي الله عنه (ت ٣٢ هـ) :

كان ممن تلا القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رضي الله عنه متصدياً للإقراء ، وقد ورد في ترجمته : « قيل : الذين في حلقة إقراء أبي الدرداء كانوا أزيد من ألف رجل ، ولكل عشرة منهم ملقن ، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائماً ، فإذا أحكم الرجل منهم ، تحوّل إلى أبي الدرداء - يعني : يعرض عليه - »^(١) .

ولم يتصد للتفسير ، ولذا كان الوارد عنه في التفسير قليلاً ، ولا يعني ذلك أنه لا يعلم التفسير ، ومن أشهر ما ورد عنه مما يتعلق بالتفسير ما رواه أبو قلابة عنه ، قال : « إنك لن تفقه كلّ الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً »^(٢) ، ويعني بها الوجوه الصحيحة المحتملة للآية .

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/٣٥٣) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١/٢١١) ، وأبو داود في الزهد: (٢٤٢) ، وروي مرفوعاً ، ولا يصح ، وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: (٢/١٠١) : هذا حديث =

* أبي بن كعب رضي الله عنه (ت ٣٢ هـ):

اشتهر عنه قراءته بالمنسوخ، روى البخاري بسنده عن ابن عباس، قال: قال عمر رضي الله عنه: «أقرؤنا أبي، وأقضانا علي، وإنا لندع من قول أبي، وذلك أن أبا يقول: لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم». وقد قال الله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] (١).

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقرأ القرآن على أبي، فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١]» قال: وسماني؟ قال: «نعم» قال: فبكي (٢).

وحاله في القراءة أشهر من حاله في التفسير، وإن كانت غير مستفيضة كالقراءة، وعن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب أتى على هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] فأتى أبي بن كعب فسأله: أينا لم يظلم؟ فقال له: «يا أمير المؤمنين، إنما ذاك الشرك، أما سمعت قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنَئِي لَأَتُشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]» (٣).

* ابن مسعود رضي الله عنه (ت ٣٢ هـ):

ومن الجوانب المتعلقة بتاريخ التفسير من حياته:

= لا يصح مرفوعاً، وإنما الصحيح فيه إنما هو من قول أبي الدرداء:.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨١)، وأطرافه فيه).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٩)، وأطرافه فيه، ومسلم (٧٩٩).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/٣٤٥).

عن مسروق، قال: كان عبد الله «يقراً علينا السورة، ثم يحدثنا فيها، ويفسرها عامة النهار»^(١).

وعن مسروق، عن عبد الله، قال: «والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورةٌ إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آيةٍ إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل، لركبت إليه»^(٢).

ولا شك في ذلك، فهو من أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى، ولذلك لم يستشكل أحد مثل هذا الكلام كما وقع في بعض الروايات.

وكان حريصاً على إيصال معاني كلام الله، ويجتهد في تفسيره بطرائق عدة، ومنها ما رواه الطبري بسنده عن قتادة، قال: «ذكر لنا أن ابن مسعود، أهديت إليه سقايةً من ذهبٍ وفضةٍ، فأمر بأخدودٍ فخذ في الأرض، ثم قذف فيه من جزل حطبٍ، ثم قذف فيه تلك السقاية، حتى إذا أزيدت وانماعت قال لغلامه: ادع من يحضرنا من أهل الكوفة، فدعا رهطاً، فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شيئاً للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة، حين أزيد وانماعت»^(٣).

ولو وازنا بين أبي وابن مسعود، لوجدنا أن الاثنين علمان في الإقراء، أما من جهة الروايات التفسيرية فالأغلب ابن مسعود.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٧٥/١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣)، واللفظ له.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٢٤٨/١٥).

❖ رابعاً: عهد علي بن أبي طالب (٣٥ - ٤٠ هـ)

يعتبر علي بن أبي طالب من المقرئين المتصددين للإقراء؛ فأسانيد الكوفيين ترجع إليه، وأحد المتصددين لتفسير كلام الله ﷺ، والسبب في ذلك أن الخلافة لم تشغله مبكراً، وكان متفرغاً أكثر من غيره ممن سبقه من الخلفاء الكرام.

وسنذكر بعض الروايات التفسيرية المرتبطة بعلي رضي الله عنه، وقد كان - رضي الله عنه - عالماً بالقرآن، وبالتفسير - على وجه الخصوص -.

عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: انتهى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رجل يقص فقال: «أعلمت الناسخ من المنسوخ؟» قال: لا قال: «هلكت وأهلكت»^(١).

والناسخ عند علي رضي الله عنه يشتمل على تخصيص العام، وتقييد المطلق، وبيان المجمل، ورفع الحكم الشرعي... الخ.

وهذا تنبيه منه - رضي الله عنه - على أهمية هذه الأنواع في بيان القرآن وتفسيره؛ لأن عدم معرفتها يؤثر على فهم المعنى^(٢).

وقد كان علي رضي الله عنه يجيب عن يسأله في القرآن تعنتاً بخلاف ما كان عليه الأمر في عهد عمر رضي الله عنه والسبب في ذلك: اختلاف الأحوال والبيئة.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٧١٦)، والبيهقي (١١٧/١٠).

(٢) النسخ منه ما يؤثر في المعنى، ومنه ما لا يؤثر، وإن كان يؤثر في الحكم قطعاً.

وكان مما ورد عنه من التفسير تنزيل بعض الآيات على المعاصرين

له .

ومن ذلك ما كان يسأله عبد الله بن الكواء الخارجي ، ومن أسألته ما ذكره أبو الطفيل عامر بن واثلة قال: سمعت علياً رضي الله عنه قام فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي» فقام ابن الكواء فقال: مَنْ ﴿الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]؟ قال: «منافقو قريشٍ»، قال: فمن ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]؟ قال: «منهم أهل حروراء»^(١).

– وقد طبّق أسلوباً من أساليب الترجيح ، وأظهر المخالفة لابن عباس ، ما يدل على احتمال تعدد دلالة النص القرآني ، وكان في ذلك بدايات لضوابط الترجيح أو قواعده أو قرائنه ، وذلك ما ورد عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، حدّثه قال: بينما أنا في الحجر جالسٌ ، أتاني رجلٌ يسأل عن ﴿وَالْعَدِيدَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله ، ثم تأوي إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عني ، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم ، فسأله عن ﴿وَالْعَدِيدَاتِ ضَبْحًا﴾ ، فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم ، سألت عنها ابن عباسٍ ، فقال: الخيل حين تغير في سبيل

(١) أخرجه الحاكم (٣٨٣/٢) بهذا اللفظ ، وصححه ، و(٥٠٦/٢) مطولاً بأسئلة أكثر من

هذه ، وصححه .

الله . قال: اذهب فادعه لي ؛ فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به ، والله لكنت أول غزوة في الإسلام لبدراً، وما كان معنا إلا فرسان: فرسٌ للزبير، وفرسٌ للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحاً؟! إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى مزدلفة إلى منى . قال ابن عباسٍ: فنزعت عن قولي ، ورجعت إلى الذي قال عليٌّ رضي الله عنه ^(١) .

- ومن أساليبه الدقيقة التي أثارها في تفسيره = التنبيه على ضابط قبول أخبار السابقين ، وقد ورد ذلك في سؤاله لحبر يهودي ، فعن سعيد بن المسيب قال: قال عليٌّ رضي الله عنه لرجلٍ من اليهود: «أين جهنم؟» فقال: البحر، فقال: «ما أراه إلا صادقاً»، ثم تلا ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦] ، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] ^(٢) .

وإنما قبل ما قاله اليهودي لما وجد له من شاهد من كتاب الله تعالى ، وهذا الضابط في قبول هذه الأخبار مما وقع عليه الاتفاق .

ومما ورد عنه من سؤال من له علم بكتب السابقين ، سؤاله لهلال الهجري عن «الأحقاب» ، فعن سالم بن أبي الجعد ، قال: قال عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه لهلالٍ الهجريّ: «ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزّل؟» قال: نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهراً ، كل شهر ثلاثون يوماً ، كل يوم ألف سنة ^(٣) .

(١) أخرجه الحاكم (١١٥/٢) ، وصححه .

(٢) أخرجه الطبري (٥٦٧/٢١) .

(٣) أخرجه الطبري (٢٤/٢٤) .

- وبرز في وقته خطأ بعض المسلمين في فهم القرآن وتفسيره، وهم الخوارج، وقد أرسل لهم ابن عمه عبد الله بن العباس ليناظرهم، وقد بين لهم ابن عباس خطأهم في فهم القرآن^(١).

- وكان مما وقع من التفسير في عصره أنه لما أرسل ابن عمه عبد الله بن العباس ليكون أميراً على الناس في الحج = ففسر للناس شيئاً من القرآن، فعن الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: قرأ ابن عباس سورة البقرة، فجعل يفسرها، فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت^(٢).

وعنه، عن شقيق، قال: استعمل عليُّ ابن عباس على الحج، قال: فخطب الناس خطبةً، لو سمعها الترك والروم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سورة النور، فجعل يفسرها^(٣).

وهذا يدل على حرص الصحابة على إيصال معاني القرآن للناس، وكان اجتماع الناس في هذا الموسم المبارك فرصة لبيان معاني القرآن كما هو ظاهر من هذه الرواية.

(١) أخرج هذه الواقعة عبد الرزاق (١٨٦٧٨)، ومن طريقه الطبراني (٣١٣/١٠)، والحاكم (١٥٠/٢)، وصححه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٢٤١/٦): رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبري (٥٧/١)، وصححه ابن حجر في فتح الباري: (١٠٠/٧).

(٣) أخرجه الطبري (٧٥/١)، والحاكم (٦١٨/٣)، وصححه.

❖ خامساً: عهد صغار الصحابة (٤١ - ٦٨ هـ)

لو تأملت هذا العهد فسيظهر لك أنه لا يوجد من تصدى في هذه الفترة للتفسير إلا ابن عباس فهو العلم البارز في التفسير.

ولا بأس أن نرجع على بعض الصحابة في هذه الفترة، ممن كانت لهم علاقة بالقرآن الكريم، فمنهم:

١ - أبو موسى الأشعري (ت ٤٤ هـ):

وقد أوتي زمماراً من زمامر آل داود، وعرف بالاشتغال بالإقراء.

٢ - زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ):

وهو من علماء الصحابة، فكان كاتب الوحي، وياشر كتابة المصحف في عهد أبي بكر وعثمان، وقراءة أهل المدينة هي قراءة زيد، وكان الصحابة يصححون على زيد المصحف، واشتهر بالإقراء وعلم الفرائض، وهو أحد أئمة التفسير من الصحابة ولكن رواياته قليلة.

٣ - السيدة عائشة:

وكانت عالمة بالفتوى ولم تتصد للتفسير.

٤ - أبو هريرة:

واشتهر بالحديث.

أما الصحابي الذي اشتهر بالتفسير، وبرز فيه وتصدى له، بل وعرف به، فهو الإمام الحبر البحر عبدالله بن عباس رضي الله عنه.

وقد نبغ ابن عباس رضي الله عنه، وظهر نبوغه في عهد الخلفاء الراشدين، ولا أدل على ذلك من إدخال عمر رضي الله عنه له مع أهل الشورى، وتبجيل عثمان له، واستعانة علي به رضي الله عنهم جميعاً، وقد سبق شيء من فضائله، وثناء الصحابة عليه في علم التفسير.

وقد تصدر لتعليم القرآن، ومن ذلك: عن عكرمة، قال: «كان ابن عباس رضي الله عنه يضع في رجلي الكبل، ويعلمني القرآن والسّنن»^(١)، وعن ابن أبي مليكة، قال: «رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحد فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله»^(٢)، وعن مجاهد، قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفته عند كل آية منه، وأسأله عنها»^(٣).

فيظهر من هذه الآثار الاعتناء الخاص لابن عباس رضي الله عنه بعلم التفسير، وتدريبه، حتى يسأله أحد طلابه عن كل آية احتاج إلى تفسيرها، وليس ذلك في مرة واحدة، بل في أكثر من مرة.

(١) أخرجه الدارمي (٥٥٣)، وصححه حسين أسد (محققه).

(٢) أخرجه الطبري (٨٥/١).

(٣) أخرجه الطبري (٨٥/١)، والدارمي (١١٢٠)، وصححه حسين أسد (محققه).

الفصل الرابع

اهتمام الصحابة والآل بحفظ القرآن، وإقرائه

المبحث الأول

اهتمام الصحابة بحفظ القرآن

تحمل صحابة النبي - ﷺ - أمانة حفظ القرآن، فكان منهم فريق عظيم جداً من حملة القرآن وحفاظه، فعن قتادة، عن أنس - رضي الله عنه -: «جمع القرآن على عهد النبي - ﷺ - أربعة، كلهم من الأنصار: أبي، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو أنه ذكر عبد الله بن مسعود؛ فقال: لا أزال أحبه؛ سمعت النبي - ﷺ - يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله ابن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب»^(٢).

وقد قتل في واقعة بئر معونة سبعون من القراء، مما يدل على مدى اتساع قاعدة حملة القرآن وجامعيه في صدورهم، فعن أنس - رضي الله عنه - قال: «جاء ناس إلى النبي - ﷺ -؛ فقالوا: «أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا

(١) أخرجه البخاري: (٣٨١٠)، ومسلم: (٢٤٦٥).

(٢) أخرجه البخاري: (٤٩٩٩)، ومسلم: رقم: (٢٤٦٤).

القرآن والسنة»؛ فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء، يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء؛ فبعثهم النبي - ﷺ - إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم»^(١).

وقد تعدى الاشتغال بحفظ القرآن حتى بلغ طبقات النساء:

فعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: «لقد كان تنورنا وتنور رسول الله - ﷺ - واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قَ وَالْفُرْقَانِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، إلا عن لسان رسول الله - ﷺ -، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس»^(٢).

وعن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري، وكانت قد جمعت القرآن وكان النبي - ﷺ - قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن، وكانت تؤم أهل دارها^(٣).

وقد ساهم في انتشار جمع القرآن بهذه الصورة ما ورد من الأدلة الدالة على فضل جمع القرآن وحفظه:

فعن عائشة، عن النبي - ﷺ - قال: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن، وهو يتعاهده،

(١) أخرجه البخاري: (١٠٠١)، ومسلم: (٦٧٧).

(٢) أخرجه مسلم: (٨٧٣)، وأبو داود: (١١٠٠).

(٣) أخرجه أبو داود: (٥٩٢).

وهو عليه شديد، فله أجران»^(١)، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ - «إن لله أهلين من الناس»، قالوا: «يا رسول الله من هم؟»، قال: «هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته»^(٢)، وعن جابر بن عبد الله - قال: «كان النبي ﷺ - يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟»، فإذا أشير إلى أحدهما؛ قدمه في اللحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم»^(٣).

ومرحلة الجمع في الصدور هذه هي أحد العناصر التي أسست عليها مرحلة الجمع الأول كما يدل عليه قول زيد بن ثابت: «فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف، وصدور الرجال»^(٤).

بل كان وقوع القتل المستحر في حملة القرآن وجامعيه في الصدور هو الدافع الرئيس لبدء عملية الجمع الأول، مما يدل على أن الجمع في الصدور كان أوسع نطاقاً بين الصحابة من الجمع في الصحف.

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا يدل على أن كثيراً ممن قتل في وقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن، لكن يمكن أن يكون المراد أن مجموعهم جمعه، لا أن كل فرد جمعه»^(٥).

(١) أخرجه البخاري: (٤٩٣٧)، ومسلم: (٧٩٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه: (٢١٥)، والدارمي: (٣٣٦٩).

(٣) أخرجه البخاري: (١٣٤٥).

(٤) أخرجه البخاري: (٤٩٨٦).

(٥) انظر: فتح الباري: (١٢/٩).

المبحث الثاني

اهتمام الصحابة بإقراء القرآن الكريم

إن الأساس لإقراء القرآن، هو قراءته على أهله أولاً، وقد أخذ الصحابة عن مبلغ القرآن مباشرة، فهم أقرب طبقات السند القرآني، فقد قرؤوه على الرسول، وقرأه الرسول على جبريل، وقرأه جبريل على رب العالمين.

وكان الصحابة يقرؤون على رسول الله ﷺ، فعن شقيق بن سلمة، قال: خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعة وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم»، قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت راداً يقول غير ذلك^(١).

وكان النبي ﷺ يسمع منهم القرآن، عن عبد الله قال: «قال رسول الله ﷺ: «اقرأ علي» قال: قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «إني أشتهي أن أسمع من غيري» قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال

(١) رواه البخاري: (٥٠٠٠)، ومسلم: (٢٤٦٢).

لي: «كف - أو أمسك -» فرأيت عينيه تذر فان» (١).

وعن أبي موسى ، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ، لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود» (٢).

وكانت تلاوة القرآن ، ومجالس السماع القرآني من هدي أصحاب النبي ﷺ ، فقد كان عمر رضي الله عنه إذا رأى أبا موسى قال: «ذكرنا ربنا يا أبا موسى» فيقرأ عنده (٣).

«وهذا كان سماع سلف الأمة ، وأكابر مشايخها وأئمتها ، كالصحابه والتابعين ومن بعدهم من المشايخ: كإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشي وأمثال هؤلاء .

وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري يا أبا موسى:

(١) رواه البخاري: (٥٠٥٥)، ومسلم: (٨٠٠)، ولفظه: «قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قال: فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك؟ وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري»، فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] رفعت رأسي، أو غمزني رجل إلى جنبي، فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل».

(٢) رواه البخاري: (٥٠٤٨)، ومسلم: (٧٩٣)، واللفظ له، وفي لفظ ابن حبان: (٧١٩٧): عن أبي موسى الأشعري قال: «استمع رسول الله ﷺ قراءتي من الليل فلما أصبحت قال: «يا أبا موسى استمعت قراءتك الليلة لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود»، قلت: يا رسول الله لو علمت مكانك لحبرت لك تحبيراً».

(٣) مصنف عبدالرزاق: (٤٨٦/٢)، وفضائل القرآن، لأبي عبيد: (١٦٣).

ذكرنا ربنا!

فيقرأ، وهم يسمعون ويبكون .

وكان أصحاب محمد إذا اجتمعوا، أمروا واحداً منهم أن يقرأ القرآن، والباقي يستمعون .

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ مر بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ، فجعل يستمع لقراءته، وقال: لقد أوتي مزاراً من مزامير آل داود، وقال: مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت أستمع لقراءتك، فقال: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً، أي لحسنته لك تحسيناً....

ولَهَذَا السَّمْعُ مِنَ الْمَوَاجِدِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَذْوَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَمَزِيدِ الْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ الْجَسِيمَةِ = مَا لَا يَسَعُهُ خَطَابٌ، وَلَا يَحْوِيهِ كِتَابٌ، كَمَا أَنَّ فِي تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ مِنْ مَزِيدِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ بَيَانٌ^(١).

ولم تكن قراءة أبي موسى إلا قراءة عالم لعلماء يتفهمون عن طريق هذا السماع كلام ربهم سبحانه، وينزلونه على أدوائهم فتحدث الأثر المطلوب .

لقد كان حث النبي ﷺ لأصحابه على تعليم القرآن باعثاً لهم، وحادياً لهممهم للسعي وراء تحقيق الخيرية التي وعد بها معلم القرآن،

(١) المجموع: (١٠/٨١).

فعن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج قال: وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا^(١).

وقد ذكر جماعة أن أبا عبد الرحمن «أخبرهم أنه قرأ على عثمان عامة القرآن، وكان يسأله عن القرآن، فيقول: إنك تشغلني عن أمر الناس، فعليك يزيد بن ثابت، فإنه يجلس للناس، ويتفرغ لهم، ولست أخالفه في شيء من القرآن»^(٢).

وقد كان الصحابة يحرصون على تعليم القرآن للناس، عن أنس قال: «بعثني الأشعري إلى عمر، فقال لي: كيف تركت الأشعري؟ قلت: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيس! ولا تسمعها إياه»^(٣).

وعن الأعمش، قال: مر أعرابي بعبد الله بن مسعود، وهو يقرئ قوماً القرآن، أو قال: وعنده قوم يتعلمون القرآن، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: «يقتسمون ميراث محمد صلى الله عليه وسلم»^(٤).

وكانوا يوصون بتعليم الأبناء القرآن، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «عليكم بالقرآن فتعلموه، وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه

(١) رواه البخاري: (٥٠٧٢).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٢٧٠/٤).

(٣) طبقات ابن سعد: (٣٤٥/٢)، وسير أعلام النبلاء: (٣٩٠/٢).

(٤) فضائل القرآن، لأبي عبيد: (٥١)، وجامع بيان العلم: (٩٧٢/٢).

تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظاً لمن عقل»^(١).

وكان تعليم القرآن مقدماً على غيره للمهاجر، عن عبادة بن الصامت قال: «كان رسول الله ﷺ يشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إلي رسول الله ﷺ رجلاً، فكان معي في البيت أعشيه عشاء أهل البيت، فكنت أقرئه القرآن»^(٢)، وفي رواية عنه: «عن عبادة بن الصامت، قال: علمت ناساً من أهل الصفة الكتابة والقرآن»^(٣).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم، يستخدمون عدة أساليب في رفع همم طلابهم، فقد كان ابن مسعود إذا أصبح خرج أتاه الناس إلى داره فيقول: «على مكانكم»، ثم يمر بالذين يقرئهم القرآن، فيقول: «يا فلان بأي سورة أنت؟» فيخبرونه، فيقول: «بأي آية فيفتح عليه الآية التي تليها، ثم يقول تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض»، قال: فيظن الرجل أنها ليست في القرآن آية خير منها، ثم يمر بالآخر فيقول له مثل ذلك حتى يقول لذلك كلهم^(٤).

ومن شواهد الإقراء أيضاً، ما ذكره محمد بن كعب القرظي، قال: «جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل،

(١) فضائل القرآن: (٥٢)، المحرر الوجيز: (٣٨/١).

(٢) رواه أحمد في المسند: (٢٢٧٦٦)، وأبي نعيم في معرفة الصحابة: (٤٨٣٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف: (٣٤١/٤)، (٢٠٨٤٣).

(٤) أخرج عبد الزاق في المصنف: (٣٦٥/٣)، والطبراني في الكبير: (١٥٣/٩).

وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء، فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إن أحببتم فاستهموا، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لتسأهم، هذا شيخ كبير لأبي أيوب، وأما هذا فسقيم لأبي بن كعب، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدؤوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين. وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين، وأما معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات»^(١).

وكانوا ﷺ يرشدون طلابهم إلى الطريقة المثلى لحفظ القرآن الكريم ومراجعته ومعاهدته، وهذا من نتائج تجاربهم وثمار تحصيلهم واجتهادهم: ومن ذلك قول أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي: «تعلموا

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: (٣٥٦/٢).

القرآن خمس آيات خمس آيات ؛ فإنه أحفظ لكم»^(١).

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن: كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»^(٢).

وعن ابن مسعود، قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن»^(٣).

فهذا هديهم رضوان الله عليهم في إقراء القرآن، وإرشادهم لطلابهم، وعملهم بهديه ﷺ في ذلك، ولذلك حازوا الخيرية التي وعدوا بها.



(١) حلية الأولياء: (٢/٢١٩).

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (١٣/٣٣١).

(٣) تفسير الطبري: (١/٧٤). تفسير ابن كثير: (١/٨).

الفصل الخامس

تعظيم الآل والأصحاب للقرآن

لقد كان تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم للقرآن من الوضوح بمكان كبير، وآثارهم خير شاهد على ذلك، فالكتاب هو «كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللاحق بأهلها، أن يتخذ سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظراً وعملاً، لا اقتصاراً على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبغيه، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول»^(١).

ويمكننا تقسيم الآثار الواردة في تعظيم القرآن عند الصحابة إلى عدة أنواع:

أولاً: ثناؤهم على القرآن، وحث الناس على الإقبال عليه، والتحذير

(١) الموافقات، للشاطبي: (٤/١٤٤).

من هجره .

ثانياً: تكريمهم لأهل القرآن ، ومعرفة قدرهم .

ثالثاً: حسن استماعهم للقرآن .

رابعاً: عملهم بالقرآن .



أولاً:

تناوهم على القرآن، وحث الناس على الإقبال عليه، والتحذير من هجره

لقد كان أصحاب النبي ﷺ أكثر الناس حرصاً على القرآن، وأكثرهم حثاً لغيرهم على الإقبال عليه، والآثار عنهم في هذا الأمر كثيرة، ومنها ما ثبت عن عبد الله بن مسعود في الحث على الإقبال على القرآن، قال: «إن هذا القرآن مآدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن»^(١)، وثبت عنه: «إن هذا القرآن مآدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل، فإن أصفر البيوت من الخير البيت الذي ليس فيه من كتاب الله تعالى شيء، وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء خرب كخراب البيت الذي لا عامر له، وإن الشيطان يخرج من البيت يسمع سورة البقرة تقرأ فيه»^(٢)، وقال: «إن هذا القرآن مآدبة الله فتعلموا من مآدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله الذي أمر به، وهو النور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن اعتصم به، ونجاة لمن تمسك به، لا يعوج فيقوم، ولا يزوغ فيشعب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن رد، اتلوه فإن

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد: (٧٨٧)، والدارمي في السنن: (٣٣٦٥).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: (٥٩٩٨)، والدارمي: (٣٣٥٠).

الله يأجركم لكل حرف عشر حسنات»^(١).

وقال عبد الله: «لا تهذوا القرآن، كهذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب»^(٢)، وقال أيضاً: «إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره»^(٣).

وقد كان الصحابة كثيراً ما يوصون أتباعهم، وسائلهم بالقرآن، فعن عقيل بن مدرك، يرفعه إلى أبي سعيد الخدري أن رجلاً أتاه، وقال: أوصني يا أبا سعيد، فقال له أبو سعيد: سألت عما سألت عنه من قبلك، قال: «أوصيك بتقوى الله، فإنها رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق، فإنك به تغلب الشيطان»^(٤).

وقد طلب قوم من جندب بن عبد الله رضي الله عنه أن يوصيهم، فأوصاهم قائلاً: «أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن، نور الليل المظلم، وهدى النهار، فاعملوا به على ما كان فيه من جهد وفاقه، فإن عرض

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: (٦٠١٧)، وأبي عبيد القاسم بن سلام، في فضائل القرآن: (٤٩)، وسعيد بن منصور في سننه: (٧)، وابن أبي شيبة: (٣٠٠٠٨)، والأجري في أخلاق أهل القرآن: (١١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة: (٢٥٦/٢).

(٣) فضائل القرآن، لأبي عبيد: (٧٣)، وابن أبي شيبة: (٣٠٠١١).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد: (٨٤٠)، وأحمد في المسند: (١١٧٧٤)، وغيرهما.

بلاء فقدم مالك دون نفسك ، فإن تجاوزهما البلاء فقدم نفسك ومالك دون دينك ، واعلم أن المحروب من حرب دينه ، وأن المسلوب من سلب دينه ، وأنه لا فقر بعد الجنة ، ولا غنى بعد النار ، وأن النار لا يفك أسيرها ، ولا يستغني فقيرها»^(١) .

ومن الآثار التي تجلب الاهتمام بالقرآن ما ثبت عن معاذ رضي الله عنه ، أنه قال: «سبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب ، فيتهافت ، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة ، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب ، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف ، إن قصرُوا ، قالوا: سنبلغ ، وإن أساءوا ، قالوا: سيغفر لنا ، إنا لا نشرك بالله شيئاً»^(٢) .

إن القرآن كان بمثابة القبس الذي نزل على قلوب تلك الثلة فأشعل نور الإيمان فيها ، حتى إنهم بكوا حين انقطع الوحي ، فعن أنس ، قال: قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: «انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقلا لها: ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء . فجعلنا يبكيان معها»^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني: (٢٩٤/٤) ، والمرزوقي في مختصر قيام الليل: (١٧٣) ، وانظر: سير أعلام النبلاء: (١٧٤/٣) .

(٢) أخرجه الدارمي في السنن: (٢١٠٧/٤) ، وانظر: تفسير القرطبي: (٣١٢/٧) .

(٣) رواه مسلم: (٢٤٥٤) .

وكانوا يحذرون أهل القرآن من الانشغال عنه، فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالاً على الناس»^(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً، لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً»^(٢).

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «لو أن حملة القرآن أخذوه وما ينبغي له لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس»^(٣).

إن القرآن أعظم ما تقرب به العبد إلى الله تعالى، عن فروة بن نوفل الأشجعي، قال: كان خباب بن الأرت لي جاراً، فقال لي يوماً: «يا هناه، تقرب إلى الله تعالى ما استطعت، واعلم أنك لست تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه»^(٤).



(١) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن: (٥٤/١).

(٢) البخاري: (٧٢٨٢).

(٣) تفسير القرطبي: (٢٠/١).

(٤) فضائل القرآن: (٧٧).

ثانياً:

تكريمهم لأهل القرآن، ومعرفة قدرهم

من مظاهر تعظيم الصحابة والآل للقرآن، تعظيمهم لأهل القرآن، فعن عامر بن وائلة، أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟، فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷺ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»^(١).

ومن تقديرهم لأهل القرآن، أن عمر رضي الله عنه كان يدخل ابن عباس مع أشياخ بدر لعلمه، فعن ابن عباس، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً،

(١) رواه مسلم: (٨١٧).

فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت:
«هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له»، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾
[النصر: ١] «وذلك علامة أجلك»، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ
كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، فقال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تقول»^(١).



(١) رواه البخاري: (٤٩٧٠).

ثالثاً:

حسن تلاوتهم واستماعهم للقرآن

كان الصحابة والآل رضوان الله عليهم أحرص الناس على أورادهم القرآنية، فعن أبي بردة، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخالف، قال: واليمن مخالفتان، ثم قال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»، فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً، فسلم عليه، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس، وقد اجتمع إليه الناس وإذا رجل عنده قد جمعت يده إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أيم هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يقتل، قال: إنما جيء به لذلك فانزل، قال: ما أنزل حتى يقتل، فأمر به فقتل، ثم نزل فقال: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي^(١).

(١) رواه البخاري: (٤٣٤١).

وعن عائشة ، قالت : «إني لأقرأ حزبي ، أو عامة حزبي وأنا مضطجعة على فراشي»^(١) .

وكان لهم اهتمام عظيم بهذا الورد حال القراءة ، ولا يقطعهم عنه - غالباً - إلا ما كان في شأنه ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر رضي الله عنهما : «إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه ، فأخذت عليه يوماً ، فقرأ سورة البقرة ، حتى انتهى إلى مكان ، قال : تدري فيم أنزلت ؟ قلت : لا ، قال : أنزلت في كذا وكذا ، ثم مضى»^(٢) .

وكان إذا فاتهم الحزب قضوه : يقول عبد الرحمن بن عبد القاري : استأذنت على عمر بالهاجرة ، فحبسني طويلاً ، ثم أذن لي ، وقال : «إني كنت في قضاء وردي»^(٣) ، وعن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي ، قال : دخلت على عبد الله بن عمرو وهو يقرأ في المصحف ، فقلت له ، فقال : «هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة»^(٤) .

وكانوا يرشدون طلابهم لتعاهد القرآن ، قال عبد الله : «تعاهدوا هذه المصاحف» ، وربما قال : «القرآن فلهو أشد تفصيماً من قلوب الرجال من النعم من عقلها»^(٥) .

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف : (٨٥٧١) ، (٣٠١٨٢) .

(٢) رواه البخاري : (٤٥٢٦) .

(٣) فضائل القرآن : (١٨٥) .

(٤) السابق .

(٥) رواه مسلم : (٧٩٠) .

ومن حسن تلاوتهم ، أنهم كانوا يزينون القرآن بأصواتهم ، وممن اشتهر بذلك منهم ، أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال سعيد بن عبد العزيز: حدثني أبو يوسف حاجب معاوية: أن أبا موسى الأشعري قدم على معاوية ، فنزل في بعض الدور بدمشق ، فخرج معاوية من الليل ليستمع قراءته ^(١) ؛ وقال أبو عثمان النهدي: «ما سمعت زماراً ولا طنبوراً ولا صنجاً أحسن من صوت أبي موسى الأشعري ؛ إن كان ليصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته» ^(٢) . وفي رواية: «كان أبو موسى يصلي بنا ، فلو قلت: إني لم أسمع صوت صنج قط ، ولا صوت بربط قط ، ولا شيئاً قط أحسن من صوته» ^(٣) . وقال العجلي: «ولم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتاً منه» ^(٤) .

بل كان الصحابة يأمرون بتحسين أصواتهم بالقرآن ، فقد قال عمر رضي الله عنه : «حسنوا أصواتكم بالقرآن» ^(٥) .

ولقد وصفت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها حال هؤلاء الثلاثة عند سماعهم للقرآن ، وصفاً موجزاً بليغاً ، فعن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر قال: قلت لها: كيف كان أصحاب رسول

(١) سير أعلام النبلاء: (٣٨٢/٢) .

(٢) السابق: (٣٩٢/٢) .

(٣) فضائل القرآن: (١٦٣/١) .

(٤) سير أعلام النبلاء: (٣٨٣/٢) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: (٢٩٩٤١) .

الله ﷻ يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: «كانوا كما نعتهم الله،
تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم»، قال: فإن ناساً إذا قرئ عليهم القرآن
خر أحدهم مغشياً عليه، قالت: «أعوذ بالله من الشيطان»^(١).



(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد: (١٠١٦)، وسعيد بن منصور: (٣٣٠/٢)، (٩٥)،
والبيهقي في شعب الإيمان: (٤١٦/٣)، (١٩٠٠).

رابعاً: عملهم بالقرآن

لقد كان القرآن المجيد حادي الصحابة والآل في العمل ، ولم يكن أحدهم يقرأ القرآن لا يجاوز ترقوته ، بل كان ينفذ إلى قلوبهم ، فتتفعل جوارحهم للعمل .

لم يكن حظهم من القرآن مجرد القراءة فحسب ، بل كانوا يحذرون من تلك الحال ، قال حذيفة: «إن أقرأ الناس للقرآن منافق يقرؤه لا يترك منه واواً ولا ألفاً يلفته بلسانه كما تلفت البقرة الخلاء بلسانها ، لا يجاوز ترقوته»^(١) .

وقال عبد الله: «لا تهذوا القرآن ، كهذ الشعر ، ولا تنثروه نشر الدقل ، وقفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب»^(٢) .

وعن ابن عمر ، قال: «كنا صدر هذه الأمة وكان الرجل من خيار أصحاب رسول الله ﷺ ما معه إلا السورة من القرآن أو شبه ذلك ، وكان القرآن ثقيلاً عليهم ورزقوا العمل به ، وإن آخر هذه الأمة يخفف عليهم القرآن حتى يقرأه الصبي والأعجمي فلا يعملون به»^(٣) ، وقال

(١) فضائل القرآن ، للقاسم: (٢١١) ، واللفت: اللي ، والخلا: النبات ما دام رطباً .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: (٢٥٦/٢) .

(٣) أخلاق أهل القرآن ، للأجري: (٩٨) .

أيضاً: «لقد عشنا برهة من دهر وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ثم لقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، ولا يدري ما أمره، ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه وينشره نثر الدقل»^(١).

وعن أبي موسى أنه قال: «إن هذا القرآن كائن لكم ذكرى، وكائن لكم أجراً، أو كان عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن، ولا يتبعكم القرآن، فإنه من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة، ومن يتبعه القرآن يزخ في قفاه فيقذفه في جهنم»^(٢).

وكان ابن عباس يقول: «من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]»^(٣).

ومن الشواهد العملية، الناطقة، والشاهدة بجلاء على هذا العمل، والوقوف عند كتاب الله:

١ - عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، «أن رسول الله ﷺ، مات

(١) شرح مشكل الآثار: (٨٤/٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة: (٣٠٠١٤).

(٣) السابق: (٢٩٩٥٥).

وأبو بكر بالسنح ، - يعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ، وليبعثه الله ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله ، قال: بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً ، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبداً ، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك ، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر .

فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ، وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، قال: فنشج الناس يبيكون»^(١) .

٢ - عن عائشة زوج النبي ﷺ ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا ، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ العشر الآيات كلها في براءتي ، فقال أبو بكر الصديق ، وكان ينفق على مسطح لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، بعد الذي قال لعائشة . فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ﴾ الآية قال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي

(١) رواه البخاري: (٣٦٦٧) .

كان ينفق عليه ، وقال: والله لا أنزعها عنه أبداً»^(١).

٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يدينهم عمر ، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته ، كهولاً كانوا أو شباناً» ، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي ، هل لك وجه عند هذا الأمير ، فاستأذن لي عليه ، قال: سأستأذن لك عليه ، قال ابن عباس: «فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر» ، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به ، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿حُذِرَ الْعَفْوَ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ، وإن هذا من الجاهلين ، «والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله»^(٢).

٤ - عن أنس قال: «لما نزلت ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] و﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال أبو طلحة: يا رسول الله حائطي الذي يمكن كذا وكذا ، والله لو استطعت أن أسرها لم أعلنها فقال: اجعله في فقراء أهلك»^(٣).

(١) رواه البخاري: (٦٦٧٩).

(٢) رواه البخاري: (٤٦٤٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده: (١٢١٤٤) ، والترمذي: (٢٩٩٧).

٥ - عن أنس بن مالك ، أنه قال لما نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] إلى آخر الآية ، جلس ثابت بن قيس في بيته ، وقال: أنا من أهل النار ، واحتبس عن النبي ﷺ ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ ، فقال: «يا أبا عمرو ، ما شأن ثابت ؟ اشتكى ؟» قال سعد: إنه لجاري ، وما علمت له بشكوى ، قال: فأتاه سعد ، فذكر له قول رسول الله ﷺ ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ، ولقد علمتم أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ ، فأنا من أهل النار ، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»^(١) .

٦ - «وقد جعلت جارية لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء ، فتهياً للصلاة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه ، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها ، فقالت الجارية: إن الله ﷻ يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ، فقال لها: «قد كظمت غيظي» ، قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ، فقال لها: «قد عفا الله عنك» ، قالت: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ، قال: «اذهبي فأنت حرة»^(٢) .



(١) رواه مسلم: (١١٩) .

(٢) شعب الإيمان ، للبيهقي: (٥٤٥/١٠) ، تاريخ دمشق ، لابن عساكر: (٣٨٧/٤١) .

الفصل السَّادِسُ

القرآن والصلاة في حياة الآل والأصحاب

وفيه حديث عن اهتمام الصحابة بتلاوة الكتاب في الصلاة، وعن شيء من هديهم في ذلك.

قد أشار الله ﷺ إلى أفضل طرق المعاهدة، والتي ينبغي لحافظ القرآن الاعتناء بها، وهي قيام الليل بالمحفوظ من القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وإن الليل مظنة الحضور والفهم وصفاء النفس وتفريغ القلب من العلائق والشواغل.

والنبي ﷺ هو المخاطب^(١) بذلك، وبقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ

(١) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٤/١٩): واختلف أيضاً: هل كان - قيام الليل - فرضاً على النبي ﷺ وحده، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء، أو عليه وعلى أمته؟ ثلاثة أقوال:

الأول: قول سعيد بن جبيرة لتوجه الخطاب إليه خاصةً.

الثاني: قول ابن عباس، قال: كان قيام الليل فريضةً على النبي ﷺ وعلى الأنبياء قبله.

الثالث: قول عائشة وابن عباس أيضاً وهو الصحيح، كما في صحيح مسلم عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله... الحديث، =

﴿۱﴾ فِرَّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿۲﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿۳﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿۴﴾

[المزمل: ١ - ٤].

وكان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه^(١)، وكان يطيل القراءة في صلاته؛ كما جاء عن حذيفة، قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ...»^(٢)، وعن عوف بن مالك الأشجعي، قال: «قمت مع رسول الله ﷺ ليلة، فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ...»^(٣)، ثم يوجه النبي ﷺ أصحابه وهو القدوة في ذلك، بأنه «إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل، والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه»^(٤)، فتبين من هذا الحديث أن من يقوم بالقرآن يكون حاضر الذهن متذكراً

= وفيه: فقلت لعائشة: أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ؟ فقالت: أليست تقرأ: يا أيها المزمل قلت: بلى! قالت فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله ﷻ خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة. أخرجه مسلم (٧٤٦).

(١) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

(٢) رواه مسلم (٧٧٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٩٨٠)، وأبو داود (٨٧٣).

(٤) رواه مسلم (٧٨٩).

لآياته ، متعاهداً له .

وإنما أفردت هذا الفصل بالذكر لأهميته ، وأنه عمود الصلاح ، والإصلاح ، وهو ما ذكره الله في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمَسُّوْنَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] .

وليس أحد يأتي في المرتبة الأولى في الجمع بين القرآن والصلاة قبل هذه الثلة المباركة من الآل والصحب عليهم رضوان الله .

لقد قال علي عليه السلام: «لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فما أرى أحداً يشبههم ، والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفرًا ، بين أعينهم مثل ركب المعزى ، قد باتوا يتلون كتاب الله ، يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح ، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم ، والله لكأن القوم باتوا غافلين»^(١) .

وعن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر قال: قلت لها: كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن؟ قالت: «كانوا كما نعتهم الله ، تدمع أعينهم ، وتقشعر جلودهم» ، قال: فإن ناساً إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشياً عليه ، قالت: «أعوذ بالله من الشيطان»^(٢) .

وعن عائشة ، قالت: «لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيتي قال: «مروا أبا

(١) حلية الأولياء: (٧٦/١) .

(٢) التفسير من سنن سعيد بن منصور: (٩٥) ، تفسير ابن أبي حاتم: (٣٢٤٩/١٠) .

بكر فليصل بالناس» قالت: فقلت يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمه»^(١).

وعن عبيد بن عمير، قال: «صلى بنا عمر بن الخطاب كرم الله وجهه صلاة الفجر فافتتح سورة يوسف فقرأها حتى إذا بلغ ﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤] بكى حتى انقطع فرجع»، ويروى: «أنه لما انتهى إلى قوله ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] بكى حتى سمع نشيجه من وراء الصفوف»^(٢).

وعن نافع، قال: «كان عبد الله بن عمر إذا قرأ هذه الآية ﴿الَّذِينَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبه البكاء»^(٣).

وقد «كان ابن عباس رضي الله عنهما يقوم نصف الليل، فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً، ثم حكى قراءته: ثم يبكي حتى تسمع له نشيجاً»^(٤)، وعن ابن أبي مليكة قال: «صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة كان إذا نزل قام شطر الليل فسأله أيوب كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ

(١) رواه البخاري: (٦٨٢)، ومسلم: (٤١٨).

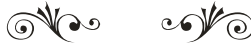
(٢) فضائل القرآن، للقاسم: (١٣٧).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: (٣٤٦٤٧)، حلية الأولياء: (٣٠٥/١)، سير أعلام النبلاء: (٢١٤/٣).

(٤) مختصر قيام الليل: (١٣١).

أَلَمْ تَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿ [ق: ١٩] فجعل يرتل ، ويكثر في ذلكم
النشيج»^(١).

وقد نهج الصحابة رضي الله عنهم نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاهدة القرآن
الكريم بتلاوة المحفوظ في صلاة الليل ، كما ثبت «أن أبا موسى كان
بين مكة والمدينة ، فصلى العشاء ركعتين ، ثم قام فصلى ركعةً أوتر بها ،
فقرأ فيها بمائة آية من النساء ، ثم قال: ما ألوت أن أضع قدمي حيث
وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قدميه وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٢).
وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ البقرة في ركعة وكان بطيء القراءة^(٣).



(١) فضائل الصحابة ، لأحمد: (٩٥٠/٢) ، شعب الإيمان: (٤١٦/٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٧٦٠) ، والنسائي (١٧٢٨).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٣٠٠).

مراجع البحث

- * الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م)، دار الجيل، بيروت.
- * إقرأ القرآن الكريم... منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه، د. دخيل بن عبدالله الدخيل، من منشورات معهد الإمام الشاطبي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- * أهل البيت بين مدرستين: محمد سالم الخضر، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م، مبرة الآل والأصحاب، الكويت.
- * تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، الطبعة الثانية (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- * تاريخ المدينة المنورة: لابن شبة، تحقيق: علي محمد دنلد، وياسين سعد الدين بيان، عام النشر (١٤١٧هـ = ١٩٩٦م) دار الكتب العلمية، بيروت.
- * تاريخ بغداد = تاريخ مدينة السلام: للخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- * تاريخ بغداد = تاريخ مدينة السلام: للخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- * التحرير والتنوير من التفسير، تأليف: محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، الطبعة: ١٩٨٤م.
- * تحقيق منيف الرتبة، في شرف من ثبت له الصحب، للعلائي، ت: القشقري، ط. دار العاصمة.
- * التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت ١٤١٦ هـ.
- * تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- * تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية (١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م)، دار طيبة، الرياض.
- * تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- * تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مع دار هجر، ط. هجر.
- * تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية (١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م)، دار الكتب المصرية، القاهرة.

* التفسير: من سنن سعيد بن منصور، دراسة وتحقيق: د. سعد بن عبدالله آل حميد، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م، دار الصميعة للنشر والتوزيع، السعودية.

* تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

* جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

* جامع بيان العلم وفضله: لابن عبدالبر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.

* جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، دار العروبة، الكويت.

* جهود الصحابة في جمع القرآن لأحمد سالم، ط. وزارة الأوقاف الكويتية.

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم، عام النشر (١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م)، دار السعادة، محافظة مصر. وتصوير: دار الكتاب العربي، ودار الفكر، ودار الكتب العلمية، بيروت.

* السنن الكبرى: للنسائي، تحقيق: حسن عبدالمنعم شلبي، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- * سنن: ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- * سنن: أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- * سنن: الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية (١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- * سنن: سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى (١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢ م)، الدار السلفية، الهند.
- * سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة (١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- * صحيح ابن حبان = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى (١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- * صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: للإمام البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ)، دار طوق النجاة.
- * صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر، بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: للإمام مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

* طرح الثريب في شرح التقريب، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، الناشر: الطبعة المصرية القديمة.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، وقام بإخراجه وصحّحه: محب الدين الخطيب، عام النشر (١٣٧٩هـ)، دار المعرفة، بيروت.

* فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، وقام بإخراجه وصحّحه: محب الدين الخطيب، عام النشر (١٣٧٩هـ)، دار المعرفة، بيروت.

* فضائل الصحابة: لأحمد بن حنبل، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

* فضائل القرآن للقاسم بن سلام، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

* فضائل القرآن، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الطبعة الأولى - ١٤١٦ هـ.

* لسان العرب: لابن منظور، الطبعة الثالثة (١٤١٤ هـ)، دار صادر، بيروت.

* مجموع الفتاوى: لابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، عام النشر (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

- * المستدرك على الصحيحين: للحاكم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١١هـ = ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- * مُسنَد الدارمي = سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ = ٢٠٠٠م)، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية.
- * المسند: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وحمزة أحمد الزين، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م)، دار الحديث، القاهرة.
- * المسند: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، تحت إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- * المصاحف: لابن أبي داود، تحقيق: محمد بن عبده، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م)، دار الفاروق الحديثة، القاهرة.
- * المصنف في الأحاديث والآثار: لابن أبي شيبة، تحقيق: حمد بن عبدالله الجمعة، ومحمد بن إبراهيم اللحيان، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م)، مكتبة الرشد، الرياض.
- * المصنف: لعبدالرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.
- * المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.
- * مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين،

المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ -
١٩٧٩م.

* النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد
الزاوي، محمود محمد الطناحي، عام النشر (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)، المكتبة
العلمية، بيروت.



قائمة بعنوانين الأبحاث الجديدة لمشروع (تراث الآل والأصحاب)

- * القرآن في حياة الآل والأصحاب .
- * أدب التربية في تراث الآل والأصحاب: نماذج من تعامل الآل والأصحاب مع صغارهم .
- * السفر وآدابه في تراث الآل والأصحاب .
- * التجارة والمكاسب في تراث الآل والأصحاب: آداب وقدوات ونماذج متنوعة .
- * آداب معاملة الكبار والمرضى في تراث الآل والأصحاب .
- * الإعاقة في تراث الآل والأصحاب: نماذج وآداب وعبر .
- * آداب التعامل مع غير المسلمين في تراث الآل والأصحاب .
- * العبادة والزهد في تراث الآل والأصحاب .
- * الذكر والدعاء في تراث آل البيت .
- * فضل العلم وآداب طلبه في تراث الآل والأصحاب .
- * آداب التعامل مع المرأة في تراث الآل والأصحاب .
- * آداب العشرة في تراث الآل والأصحاب: استلهام للقيم الزوجية الناجحة في سير سلفنا الصالح .
- * آداب الحوار والاختلاف في تراث الآل والأصحاب: شواهد وآداب .
- * قضايا نسائية: قراءات في تراث الآل والأصحاب .
- * الأطفال في رحاب الآل والأصحاب: بحث في أسس المعالجة الفنية والأدبية لنشر تراث الآل والأصحاب للمراحل العمرية الصغيرة .
- * الوقف في تراث الآل والأصحاب .
- * الفَقْد في تراث الآل والأصحاب: دراسة في الجوانب الإيمانية والإنسانية .
- * المهارات الإدارية في تراث الآل والأصحاب .
- * إدارة الوقت في تراث الآل والأصحاب .
- * الطعام وآدابه في تراث الآل والأصحاب .
- * المزاح وآدابه في تراث الآل والأصحاب .
- * آداب التعامل مع الحيوان في تراث الآل والأصحاب .